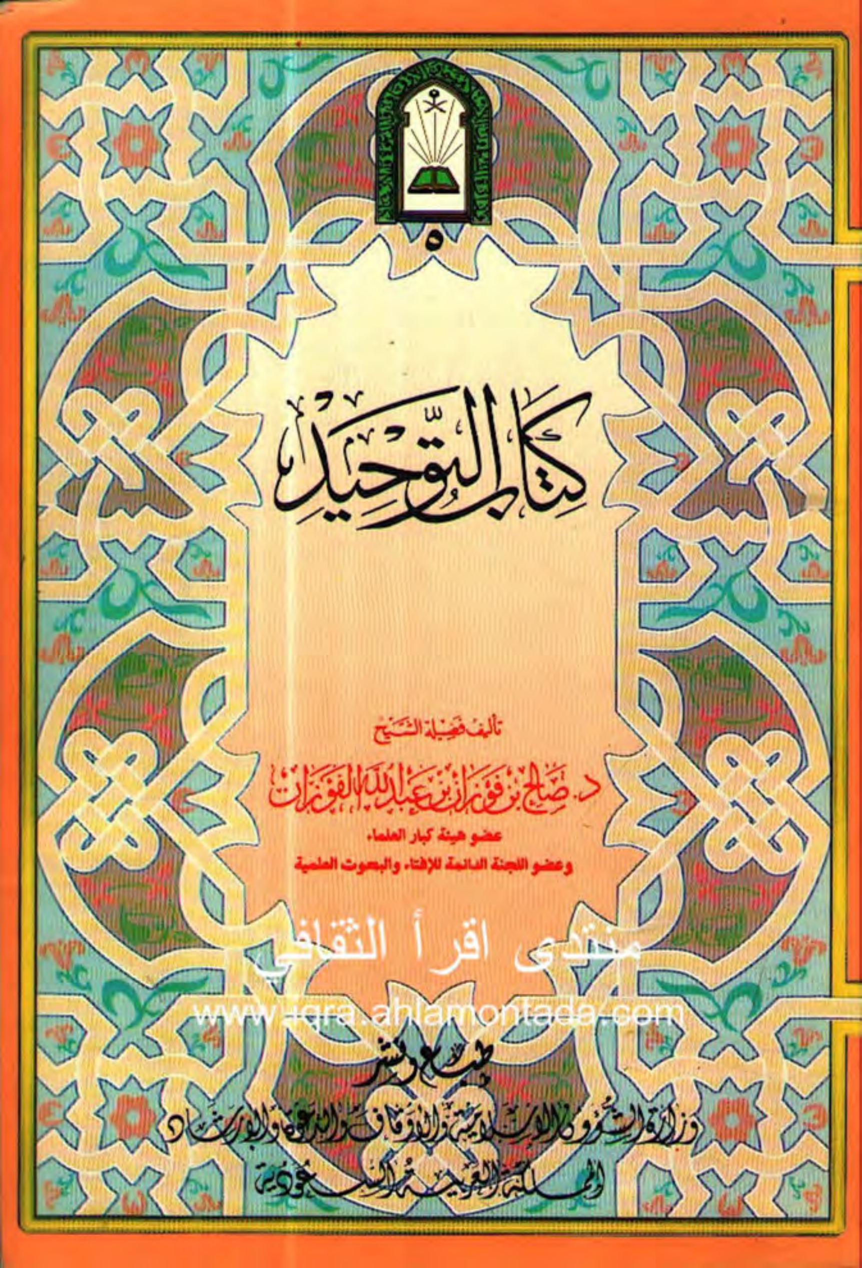

كتاب التوحيد
تأليف فضيلة الشيخ
د. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء
وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء والبحوث العلمية
منتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com
طبع ونشر
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
المملكة العربية السعودية

من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد



تأليف فضيلة الشيخ

د. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء والبحوث العلمية

أشرفت وكالة شؤون المطبوعات والنشر بالوزارة

على إصداره

١٤٢١هـ

ح وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان ، صالح بن فوزان

كتاب التوحيد.- الرياض.

١٧٦ ص ، ١٢×١٧ سم

ردمك: ٢ - ٢٧٦ - ٢٩ - ٩٩٦٠

١- التوحيد ٢- العقيدة الإسلامية أ- العنوان

ديوي ٢٤٠ ٢٠/٠٩٢٨

رقم الإيداع : ٩٢٨/ ٢٠

ردمك: ٢ - ٢٧٦ - ٢٩ - ٩٩٦٠

الطبعة: الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الصادق الأمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . . وبعد:

فهذا كتاب في علم التوحيد، وقد راعيت فيه الاختصار مع سهولة العبارة، وقد اقتبسته من مصادر كثيرة من كتب أئمتنا الأعلام - ولا سيما كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وكتب العلامة ابن القيم، وكتب شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب وتلاميذه من أئمة الدعوة المباركة، ومما لا شك فيه أن علم العقيدة الإسلامية هو العلم الأساسي الذي ـ تجدر العناية به تعلماً وتعليماً وعملاً ـ بموجبه لتكون الأعمال صحيحة مقبولة عند الله نافعة للعاملين، خصوصا وأننا في زمان كثرت فيه التيارات المنحرفة: تيار الإلحاد، وتيار التصوف والرهبنة، وتيار القبورية الوثنية، وتيار البدع المخالفة

للهدي النبـوي . وكلها تيارات خطيرة مـا لم يكن المسلم مسلحاً بسـلاح العقيدة الصحيحة المرتكـزة على الكتاب والسنة ومـا عليه سلف الأمـة ؛ فإنه حري أن تجرفـه تلك التيارات المضلة ، وهذا مما يستدعـي العناية التامة بتعليم العقيـدة الصحيحـة لأبنـاء المسلمين مـن مصـادرهـا الأصيلة . .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه . .

المؤلف

الباب الأول

الانحراف في حياة البشرية ولمحة تاريخية عن الكفر والإلحاد والشرك والنفاق

ويتضمن الفصول التالية :

الفصل الأول : الانحراف في حياة البشرية .

الفصل الثاني : الشرك- تعريفه وأنواعه .

الفصل الثالث : الكفر- تعريفه وأنواعه .

الفصل الرابع : النفاق- تعريفه وأنواعه .

الفصل الخامس : بيان حقيقة كل من :

الجاهلية - الفسق - الضلال - الردة :

أقسامها ، وأحكامها .

الانحراف في حياة البشرية

خلق الله الخلق لعبادته، وهيأ لهم ما يعينهم عليها من رزقه. قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

والنفس بفطرتها إذا تركت كانت مقرة لله بالإلهية، محبة لله تعبده لا تشرك به شيئاً. ولكن يفسدها وينحرف بها عن ذلك ما يزين لها شياطين الإنس والجن بما يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً. فالتوحيد مركوز في الفطر. والشرك طارئ ودخيل عليها. قال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ [الروم: ٣٠].

وقال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»[1]. فالأصل في بني آدم التوحيد.

(١) في الصحيحين من حديث أبي هريرة.

والدين: هـو الإسلام من عهد آدم عليـه السلام ومن جاء بعـده من ذريته قـروناً طويلـة - قال تعـالى: ﴿كان الناس أمـة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنـذرين﴾ [البقرة: ٢١٣].

وأول ما حدث الشرك والانحـراف عن العقيدة في قوم نوح، فكان عليه السلام أول رسول ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينـا إلىٰ نـوحٍ والنبيين من بعـده﴾ [النساء: ١٦٣].

قـال ابن عبـاس: كـان بين آدم ونوح عليهما السـلام عشرة قرون كلهم على الإسلام - قال ابن القيم[(١)] - وهذا القول هو الصواب قطعاً، فإن قراءة أبي بن كعب يعني في آية البقرة: «فاختلفوا فبعث الله النبيين».

ويشهد لهذه القراءة قوله تعالى: ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا﴾ [يونس: ١٩].

يـريـد رحمه الله أن بعثة النبيين سببهـا الاختـلاف عما كانـوا عليه من الديـن الصحيح - كما كانت العـرب بعد

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٠٢).

ذلك على دين إبراهيم عليه السلام، حتى جاء عمرو بن لحي الخزاعي، فغير دين إبراهيم، وجلب الأصنام إلى أرض العرب و إلى أرض الحجاز بصفة خاصة، فعبدت من دون الله، وانتشر الشرك في هذه البلاد المقدسة وما جاورها - إلى أن بعث الله نبيه محمداً خاتم النبيين ﷺ، فدعا الناس إلى التوحيد واتباع ملة إبراهيم، وجاهد في الله حق جهاده، حتى عادت عقيدة التوحيد وملة إبراهيم، وكسر الأصنام، وأكمل الله به الدين. وأتم به النعمة على العالمين، وسارت على نهجه القرون المفضلة من صدر هذه الأمة إلى أن فشا الجهل في القرون المتأخرة، ودخلها الدخيل من الديانات الأخرى، فعاد الشرك إلى كثير من هذه الأمة بسبب دعاة الضلال، وبسبب البناء على القبور، متمثلاً بتعظيم الأولياء والصالحين، وادعاء المحبة لهم حتى بنيت الأضرحة على قبورهم. واتخذت أوثاناً تعبد من دون الله بأنواع القربات من دعاء واستغاثة وذبح ونذر لمقاماتهم. وسموا الشرك توسلاً بالصالحين وإظهاراً لمحبتهم وليس عبادة لهم بزعمهم، ونسوا أن هذا

هو قول المشركين الأولين حيث يقولون: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ [الزمر: ٣].

ومع هذا الشرك الذي وقع في البشرية قديماً وحديثاً فالأكثرية منهم يؤمنون بتوحيد الربوبية، وإنما يشركون في العبادة، كما قال تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ [يوسف: ١٠٦].

ولم يجحد وجود الرب إلا نزر يسير من البشر: كفرعون والملاحدة الدهريين والشيوعيين في هذا الزمان - وجحودهم به من باب المكابرة، وإلا فهم مضطرون للإقرار به في باطنهم وقرارة أنفسهم - كما قال تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا﴾ [النمل: ١٤].

وعقولهم تعرف أن كل مخلوق لابد له من خالق. وكل موجود لابد له من موجد. وأن نظام هذا الكون المنضبط الدقيق لابد له من مدبر حكيم قدير عليم. من أنكره فهو: إما فاقد لعقله، أو مكابر قد ألغى عقله، وسفه نفسه، وهذا لا عبرة به.

الشرك: تعريفه - أنواعه

(١) تعريفه:

الشرك هو: جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلهيته. والغالب الإشراك في الألوهية بأن يدعو مع الله غيره، أو يصرف له شيئاً من أنواع العبادة: كالذبح والنذر والخوف والرجاء والمحبة. والشرك أعظم الذنوب، وذلك لأمور:

١- لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية - فمن أشرك مع الله أحداً فقد شبهه به. وهذا أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان: ١٣]. والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه. فمن عبد غير الله فقد وضع العبادة في غير موضعها، وصرفها لغير مستحقها، وذلك أعظم الظلم.

٢-إنَّ الله أخبر أنه لا يغفر لمن لم يتب منه - قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨].

٣- إن الله أخبر أنـه حرم الجنـة على المشرك، وأنـه خالـد مخلداً في نار جهنم - قال تعالى: ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليـه الجنة ومأواه النار ومـا للظالمين من أنصار﴾ [المائدة: ٧٢].

٤- إن الشرك يحبط جميـع الأعمال - قـال تعـالى: ﴿ولـو أشركوا لحبط عنهم ما كـانوا يعملون﴾ [الأنعام: ٨٨]. وقال تعالى: ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئـن أشركـت ليحبطـن عملـك ولتكـونـن مـن الخاسرين﴾ [الزمر: ٦٥].

٥- إن المشرك حلال الـدم والمال - قال تعالى: ﴿فـاقتلوا المشركين حيث وجـدتموهـم وخـذوهم واحصروهـم واقعـدوا لهـم كل مرصـدٍ﴾ [التـوبة: ٥]. وقال النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتـى يقولوا: لا إله إلا الله. فإذا قـالوها عصمـوا مني دماءهـم وأموالهم إلا بحقها»[1].

(١) رواه البخاري ومسلم.

٦- إن الشرك أكبر الكبائر - قال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يارسول الله. قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين» الحديث[١] - قال العلامة ابن القيم[٢]: أخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر أن يعرف بأسمائه وصفاته، ويعبد وحده لا يشرك به. وأن يقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، كما قال تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ [الحديد: ٢٥].

فأخبر سبحانه أنه أرسل رسله، وأنزل كتبه، ليقوم الناس بالقسط وهو العدل - ومن أعظم القسط التوحيد، وهو رأس العدل وقوامه. وأن الشرك ظلم، كما قال تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان: ١٣].

فالشرك أظلم الظلم. والتوحيد أعدل العدل. فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر - إلى أن

(١) رواه البخاري ومسلم. (٢) الجواب الكافي ص ١٠٩.

قال : فلما كـان الشرك منافياً بـالذات لهذا المقصـود كان أكبر الكبائر على الإطلاق، وحرم الله الجنة على كل مشرك، وأباح دمه ومالـه وأهله لأهل التوحيد، وأن يتخـذوهـم عبيداً لهم لما تركوا القيام بعبوديته. وأبى الله سبحانه أن يقبل لمشرك عملاً. أو يقبل فيه شفاعة. أو يجيب له في الآخرة دعوة. أو يقبل له فيها رجاء. فإن المشرك أجهل الجاهلين بالله. حيث جعل له من خلقه ندّا. وذلك غاية الجهل به - كما أنه غاية الظلم منه - و إن كان المشـرك في الواقـع لم يظلم ربه، و إنما ظلـم نفسه - انتهى.

٧- إن الشـــرك تنقص وعيب نـزه الـرب سبحـانه نفســه عنهما - فمن أشرك بـالله فقـد أثبت لله مـا نزه نفسـه عنه، وهـذا غايـة المحادة لله تعـالى، وغايـة المعانـدة والمشاقة لله.

(ب) أنواع الشرك: الشرك نوعان:

النوع الأول: شرك أكبر يخرج من الملة، ويخلد صاحبه في النار إذا مات ولم يتب منه - وهو صرف شيء من أنواع

العبادة لغير الله - كدعاء غير الله والتقرب بالذبائح والنذور لغير الله من القبور والجن والشياطين. والخوف من الموتى أو الجن أو الشياطين أن يضروه أو يمرضوه - ورجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات وتفريج الكربات مما يمارس الآن حول الأضرحة المبنية على قبور الأولياء والصالحين. قال تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ [يونس: ١٨].

النوع الثاني: شرك أصغر لا يخرج من الملة، لكنه ينقص التوحيد، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر - وهو قسمان:

القسم الأول: شرك ظاهر، وهو: ألفاظ وأفعال. فالألفاظ كالحلف بغير الله - قال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك»(١) - وقوله: ما شاء الله وشئت - قال ﷺ: لما قال رجل: ما شاء الله وشئت. فقال:

---

(١) رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.

«أجعلتني لله نـدّا؟! قل: ما شـاء الله وحده»[1] وقول: لـولا الله وفـلان - والصـواب أن يقـال: مـا شـاء الله ثم فـلان، ولـولا الله ثـم فـلان - لأن ثـم للـترتيـب مـع التراخـي - تجعـل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله - كما قال تعـالى: ﴿ومـا تشـاءون إلا أن يشـاء الله رب العـالمين﴾ [التكـوير: ٢٩].

وأمـا الـواو فهي لمطلـق الجمع، والاشتراك لا تقتضي ترتيبـاً ولا تعقيباً. ومثله قول: مـا لي إلا الله وأنت. وهذا من بركات الله وبركاتك -.

وأما الأفعـال: فمثل لبس الحلقة والخيط لـرفع البلاء أو دفعه، ومثل تعليق التمائم خوفاً من العين وغيرها، إذا اعتقد أن هـذه أسباب لـرفع البلاء أو دفعـه، فهذا شرك أصغر. لأن الله لم يجعـل هذه أسبـاباً. أمـا إن اعتقد أنها تدفع أو تـرفع البلاء بنفسها فهـذا شرك أكبر، لأنه تعلق بغير الله.

---

(١) رواه النسائي.

القسم الثاني من الشرك الأصغر: شرك خفي، وهو الشرك في الإرادات والنيات - كالرياء والسمعة - كأن يعمل عملاً مما يتقرب به إلى الله، يريد به ثناء الناس عليه - كأن يحسن صلاته أو يتصدق لأجل أن يمدح ويُثنى عليه. أو يتلفظ بالذكر ويحسن صوته بالتلاوة لأجل أن يسمعه الناس فيثنوا عليه ويمدحوه. والرياء إذا خالط العمل أبطله - قال الله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال النبي ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر - قالوا: يارسول الله! وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء»[١] ومنه العمل لأجل الطمع الدنيوي - كمن يحج أو يؤذن أو يؤم الناس لأجل المال - أو يتعلم العلم الشرعي أو يجاهد لأجل المال. قال النبي ﷺ: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة إن أُعطي رضي وإن لم يعط سخط»[٢]

---

(١) رواه أحمد والطبراني والبغوي في شرح السنة. (٢) رواه البخاري.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له. وقل من ينجو منه. فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئاً من غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته - والإخلاص أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته. وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام. كما قال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [آل عمران: ٨٥]. وهي ملة إبراهيم عليه السلام التي من رغب عنها فهو من السفهاء(١)، انتهى.

يتلخص مما مر أن هناك فروقاً بين الشرك الأكبر والأصغر، وهي:

١ - الشرك الأكبر يخرج من الملة - والشرك الأصغر لا يخرج من الملة.

(١) الجواب الكافي ص ١١٥.

٢- الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار - والشرك الأصغر لا يخلد صاحبه فيها إن دخلها .

٣- الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال - والشرك الأصغر لا يحبط جميع الأعمال، وإنما يحبط الرياءُ والعملُ لأجل الدنيا العملَ الذي خالطاه فقط .

٤- الشرك الأكبر يبيح الـدم والمال - والشرك الأصغـر لا يبيحهما .

الكفر، تعريفه - أنواعه

(أ) تعريفه:

الكفر في اللغة التغطية والستر - والكفر شرعاً: ضد الإيمان - فإن الكفر عدم الإيمان بالله ورسله - سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب أو إعراض أو حسد أو كبر أو اتباع لبعض الأهواء الصادة عن اتباع الرسالة. وإن كان المكذب أعظم كفراً، وكذلك الجاحد المكذب حسداً مع استيقان صدق الرسل[1].

(ب) أنواعه: الكفر نوعان:

النوع الأول: كفر أكبر يخرج من الملة، وهو خمسة أقسام:

القسم الأول: كفر التكذيب - والدليل قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترىٰ على الله كذبا أو كذب بالحق لما

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢ - ٣٣٥).

جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾ [العنكبوت: ٦٨].

القسم الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق - والدليل قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبىٰ واستكبر وكان من الكافرين﴾ [البقرة: ٣٤].

القسم الثالث: كفر الشك - وهو كفر الظن - والدليل قوله تعالى: ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلىٰ ربي لأجدن خيرا منها منقلبا * قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا * لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا﴾ [الكهف: ٣٥ - ٣٨].

القسم الرابع: كفر الإعراض - والدليل قوله تعالى: ﴿والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾ [الأحقاف: ٣].

القسم الخامس: كفر النفاق - والدليل قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع علىٰ قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ [المنافقون: ٣].

النوع الثاني: كفر أصغر لا يخرج من الملة، وهو الكفر العملي - وهو الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كفراً، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر مثل كفر النعمة المذكور في قوله تعالى: ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله﴾ [النحل: ١١٢].

ومثل قتال المسلم المذكور في قوله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»(١). وفي قوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض»(٢).

ومثل الحلف بغير الله قال ﷺ: «من حلف بغير الله كفر أو أشرك»(٣). فقد جعل الله مرتكب الكبيرة مؤمناً،

---

(١) رواه البخاري ومسلم (٢) رواه الشيخان.
(٣) رواه الترمذي وصححه الحاكم.

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى﴾ [البقرة: ١٧٨]، فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخا لولي القصاص فقال: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾ [البقرة: ١٧٨]، والمراد أخوة الدين بلا ريب. وقال تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ [الحجرات: ٩]، إلى قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ [الحجرات: ١٠]. انتهى من شرح الطحاوية[1] باختصار.

وملخص الفروق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر:

١- أن الكفر الأكبر يخرج من الملة ويحبط الأعمال، والكفر الأصغر لا يخرج من الملة ولا يحبط الأعمال، لكن ينقصها بحسبه، ويعرض صاحبها للوعيد.

٢- أن الكفر الأكبر يخلد صاحبه في النار، والكفر

(١) صفحة (٣٦١) ط المكتب الإسلامي.

الأصغر إذا دخل صاحبه النار فإنه لا يخلد فيها. وقد يتوب الله على صاحبه فلا يدخله النار أصلاً.

٣ - أن الكفر الأكبر يبيح الدم والمال، والكفر الأصغر لا يبيح الدم والمال.

٤ - أن الكفر الأكبر يوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته ولو كان أقرب قريب. وأما الكفر الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقاً، بل صاحبه يحب ويوالى بقدر ما فيه من الإيمان ويبغض ويعادى بقدر ما فيه من العصيان.

النفاق: تعريفه - أنواعه

(١) تعريفه:

النفاق لغة - مصدر: نافق - يقال: نافق ينافق نفاقاً ومنافقة، وهو مأخوذ من النافقاء: أحد مخارج اليربوع من جحره، فإنه إذا طلب من واحد هرب إلى الآخر وخرج منه - وقيل هو من النفق، وهو السرب الذي يستتر فيه[1].

أما النفاق في الشرع فمعناه إظهار الإسلام وإبطال الكفر والشر. سمي بذلك لأنه يدخل في الشرع من باب، ويخرج منه من باب آخر. وعلى ذلك نبه الله تعالى بقوله: ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾ [التوبة: ٦٧] أي الخارجون من الشرع. وجعل الله المنافقين شراً من الكافرين فقال: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ [النساء: ١٤٥]، وقال تعالى: ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾ [النساء: ١٤٢]، ﴿يخادعون

---

(١) النهاية لابن الأثير (٥/ ٩٨) بمعناه.

الله والذين آمنــوا وما يخدعون إلا أنفسهم ومـا يشعرون * في قلوبهم مـرض فزادهم الله مـرضا ولهم عـذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ [البقرة: ٩-١٠].

(ب) أنواع النفاق:

النفاق نوعان:

النوع الأول: النفاق الاعتقادي، وهـو النفاق الأكبر الذي يظهر صـاحبه الإسلام ويبطن الكفـر - وهذا النوع يخرج من الدين بالكلية، وصـاحبه في الدرك الأسفل من النـار - وقد وصـف الله أهله بصفـات الشر كلهـا: من الكفـر وعـدم الإيمان، والاستهـزاء بـالـديـن وأهلـه، والسخـريـة منهـم، والميـل بـالكليـة إلى أعـداء الـديـن لمشاركتهـم لهم في عداوة الإسـلام - وهؤلاء مـوجودون في كل زمـان. ولا سيما عنـدمـا تظهـر قـوة الإسـلام ولا يستطيعون مقاومته في الظاهر، فإنهم يظهرون الدخول فيه لأجل الكيد لـه ولأهله في الباطن. ولأجـل أن يعيشوا مع

المسلمين ويأمنوا على دمائهم وأموالهم. فيظهر المنافق إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به. لا يؤمن بالله. وأن الله تكلم بكلام أنزله على بشر، جعله رسولاً للناس، يهديهم بإذنه، وينذرهم بأسه، ويخوفهم عقابه. وقد هتك الله أستار هؤلاء المنافقين، وكشف أسرارهم في القرآن الكريم، وجلّا لعباده أمورهم ليكونوا منها ومن أهلها على حذر. وذكر طوائف العالم الثلاثة في أول البقرة. المؤمنين والكفار والمنافقين. فذكر في المؤمنين أربع آيات. وفي الكفار آيتين. وفي المنافقين ثلاث عشرة آية. لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله. فإن بلية الإسلام بهم شديدة جداً لأنهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته وهم أعداؤه في الحقيقة. يخرجون عداوته في كل قالب، يظن الجاهل أنه علم وإصلاح، وهو غاية الجهل والإفساد[1].

---

(١) من رسالة لابن القيم في بيان صفات المنافقين.

وهذا النفاق ستة أنواع[1]:

١ تكذيب الرسول ﷺ.

٢ تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٣ - بغض الرسول ﷺ.

٤ بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٥ - المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ.

٦ الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

النوع الثاني: النفاق العملي - وهو عمل شيء من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان في القلب، وهذا لا يخرج من الملة - لكنه وسيلة إلى ذلك. وصاحبه يكون فيه إيمان ونفاق، وإذا كثر صار بسببه منافقا خالصاً، والدليل عليه قوله ﷺ: «أربع من كن فه كان منافقاً خالصاً. ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها. إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[2].

(١) مجموعة التوحيد النجدية صفحة (٩).

(٢) متفق عليه.

فمن اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع فقد اجتمع فيه الشر، وخلصت فيه نعوت المنافقين. ومن كانت فيه واحدة منها صار فيه خصلة من النفاق - فإنه قد يجتمع في العبد خصال خير وخصال شر وخصال إيمان وخصال كفر ونفاق. ويستحق من الثواب والعقاب بحسب ما قام به من موجبات ذلك، ومنه التكاسل عن الصلاة مع الجماعة في المسجد، فإنه من صفات المنافقين - فالنفاق شر وخطير جداً، وكان الصحابة يتخوفون من الوقوع فيه. قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه.

الفروق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر:

١- أن النفاق الأكبر يخرج من الملة، والنفاق الأصغر لا يخرج من الملة.

٢- أن النفاق الأكبر اختلاف السر والعلانية في الاعتقاد. والنفاق الأصغر اختلاف السر والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد.

٣ أن النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن، وأما النفاق الأصغر فقد يصدر من المؤمن.

٤ أن النفاق الأكبر في الغالب لا يتوب صاحبه، ولو تاب فقد اختلف في قبول توبته عند الحاكم. بخلاف النفاق الأصغر، فإن صاحبه قد يتوب إلى الله فيتوب الله عليه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1]: (وكثيراً ما تعرض للمؤمن شعبة من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه. وقد يرد على قلبه بعض ما يوجب النفاق ويدفعه الله عنه. والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره. كما قال الصحابة: يارسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لئن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به فقال: «ذلك صريح الإيمان»[2] وفي رواية: «ما يتعاظم أن يتكلم به. قال: «الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة» - أي حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة، ودفعه عن القلب، وهو من صريح الإيمان - انتهى.

---

(١) انظر كتاب الإيمان صفحة ٢٣٨.
(٢) رواه أحمد ومسلم.

وأما أهل النفاق الأكبر، فقال الله فيهم: ﴿صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾ [البقرة: ١٨]. أي إلى الإسلام في الباطن. وقال تعالى فيهم: ﴿أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾ [التوبة: ١٢٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد اختلف العلماء في قبول توبتهم في الظاهر، لكون ذلك لا يُعْلم، إذ هم دائماً يظهرون الإسلام)(١).

(١) انظر مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٣٤-٤٣٥).

بيان حقيقه كل من :

الجاهلية - الفسق - الضلال - الردة:

أقسامها، أحكامها

١- الجاهلية:

هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من : الجهل بالله ورسله وشرائع الدين ، والمفاخرة بالأنساب ، والكبر، والتجبر، وغير ذلك[١]. نسبة إلى الجهل الذي هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية : فإن من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلاً بسيطاً . فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلاً مركباً . فإن تبين ذلك فالناس قبل بعث الرسول ﷺ كانوا في جاهلية منسوبة إلى الجهل . فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل . وإنما يفعله جاهل . وكذلك كل ما يخالف ما جاء به المرسلون من يهودية

(١) النهاية لابن الأثير ١/ ٣٢٣.

ونصرانية فهو جاهلية، وتلك كانت الجاهلية العامة - فأما بعد مبعث الرسول ﷺ قد تكون في مصر دون مصر. كما هي في دار الكفار. وقد تكون في شخص دون شخص. كالرجل قبل أن يسلم فإنه في جاهلية وإن كان في دار الإسلام. فأما في زمان مطلق فلا جاهلية بعد مبعث محمد ﷺ. فإنه لاتزال من أمته طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة. والجاهلية المقيدة قد تقوم في بعض ديار المسلمين في كثير من الأشخاص المسلمين. كما قال ﷺ: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية»[1]. وقال لأبي ذر: «إنك امرؤ فيك جاهلية»[2]. ونحو ذلك[3]انتهى.

وملخص ذلك: أن الجاهلية: نسبة إلى الجهل وهو عدم العلم وانها تنقسم إلى قسمين:

١ - الجاهلية العامة وهي ما كان قبل مبعث الرسول ﷺ وقد انتهت ببعثه.

---

(١) رواه مسلم. (٢) في الصحيحين.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٢٥-٢٢٧) تحقيق الدكتور ناصر العقل.

٢ جاهلية خاصة ببعض الدول وبعض البلدان وبعض الأشخاص وهـذه لا تزال بـاقية. وبهذا يتضـح خطأ من يعممون الجاهلية في هذا الزمان فيقولون: جاهلية هذا القرن وما شابه ذلك والصواب أن يقال: جاهلية بعض أهل هذا القرن أو غالب أهل هذا القرن. وأما التعميـم فـلا يصح ولا يجوز، لأنـه ببعثـة النبـي ﷺ زالت الجاهلية العامة.

٢- الفسق:

الفسق لغة: الخروج - والمراد بـه شرعـاً: الخروج عن طـاعـة الله وهو يشمـل الخروج الكلي، فيقال للكـافـر: فـاسق. والخروج الجزئي فيقـال للمؤمـن المرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب: فاسق.

فالفسق فسقان: فسق ينقـل عن الملـة وهو الكفـر. فيسمى الكـافر فـاسقا، فقـد ذكر الله إبليـس، فقال: ﴿ففسـق عن أمـر ربـه﴾ [الكهـف: ٥٠]، وكان ذلك الفسق منـه كفراً. وقال الله تعـالى: ﴿وأما الذيـن فسقوا

فمأواهم النـار﴾ [السجـدة: ٢٠] يـريد الكفـار. دل على ذلك قـولـه: ﴿كلما أرادوا أن يخرجـوا منهـا أعيـدوا فيهـا وقيل لهم ذوقـوا عـذاب النار الـذي كنتم بـه تكذبـون﴾ [السجدة: ٢٠]، ويسمى العاصي من المسلمين فـاسقاً، ولم يخرجــه فسقـه من الإســلام، قـال تعالى: ﴿والـذين يرمون المحصنـات ثم لم يأتوا بأربعة شهـداء فـاجلدوهم ثمانين جلـدة ولا تقبلـوا لهم شهـادة أبـــداً وأولئك هـم الفاسقـون﴾ [النور: ٤]. وقـال تعالى: ﴿فمــن فــرض فيهن الحــج فلا رفث ولا فسـوق ولا جدال في الحــج﴾ [البقرة: ١٩٧]. وقال العلماء في تفسير الفسـوق هنا: هـو المعاصـي(١).

٣- الضلال:

الضلال: العـدول عن الطريـق المستقيم. وهو ضـد الهداية، قال تعالى: ﴿من اهتدىٰ فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ [الإسراء: ١٥].

---

(١) كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٧٨.

والضلال يطلق على عدة معان:

١ فتارة يطلق على الكفر، قال تعالى: ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾ [النساء: ١٣٦].

٢ وتارة يطلق على الشرك، قال تعالى: ﴿ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾ [النساء: ١١٦].

٣ وتارة يطلق على المخالفة التي هي دون الكفر - كما يقال: الفرق الضالة أي المخالفة.

٤ وتارة يطلق على الخطأ، ومنه قول موسى عليه السلام: ﴿قال فعلتها إذا وأنا من الضالين﴾ [الشعراء: ٢٠].

٥ وتارة يطلق على النسيان، ومنه قوله تعالى: ﴿أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٦- ويطلق الضلال على الضياع والغيبة ومنه: ضالة الإبل(١).

٤- الردة وأقسامها وأحكامها:

الردة لغة: الرجوع. قال تعالى: ﴿ولا ترتدوا على أدباركم﴾ [المائدة: ٢١]. أي لا ترجعوا - والردة في الاصطلاح الفقهي: هي الكفر بعد الإسلام - قال تعالى: ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [البقرة: ٢١٧].

أقسامها: الردة تحصل بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام ونواقض الإسلام كثيرة ترجع إلى أربعة أقسام هي:

١- **الردة بالقول**: كسب الله تعالى أو رسوله ﷺ أو ملائكته أو أحد من رسله. أو ادعاء علم الغيب، أو ادعاء النبوة، أو تصديق من يدعيها، أو دعاء

(١) ص ٢٩٧-٢٩٨ من المفردات للراغب.

غير الله ، أو الاستعانة به فيما لا يقدر عليه إلا الله ، أو الاستعاذة به في ذلك .

٢ الردة بالفعل : كالسجود للصنم والشجر والحجر والقبور والذبح لها . وإلقاء المصحف في المواطن القذرة وعمل السحر وتعلمه وتعليمه والحكم بغير ما أنزل الله معتقداً حله .

٣ الردة بالاعتقاد : كاعتقاد الشريك لله ، أو أن الزنا والخمر والربا حلال . أو أن الخبز حرام ، أو أن الصلاة غير واجبة ، ونحو ذلك مما أجمع على حله أو حرمته أو وجوبه إجماعاً قطعياً ومثله لا يجهله .

٤ الردة بالشك في شيء مما سبق : كمن شك في تحريم الشرك أو تحريم الزنا والخمر - أو في حل الخبز، أو شك في رسالة النبي ﷺ أو رسالة غيره من الأنبياء أو في صدقه أو في دين الإسلام أو في صلاحيته لهذا الزمان .

وأحكامها التي تترتب عليها بعد ثبوتها:

١ - استتابة المرتد - فإن تاب ورجع إلى الإسلام في خلال ثلاثة أيام قبل منه ذلك وترك.

٢ - إذا أبى أن يتوب وجب قتله لقوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»[١].

٣- يمنع من التصرف في ماله في مدة استتابته فإن أسلم فهو له. وإلا صار فيئاً لبيت المال من حين قتله أو موته على الردة.

وقيل من حين ارتداده يصرف في مصالح المسلمين.

٤ - انقطاع التوارث بينه وبين أقاربه فلا يرثهم ولا يرثونه.

٥ - إذا مات أو قتل على ردته فإنه لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، وإنما يدفن في مقابر الكفار، أو يوارى في التراب في أي مكان غير مقابر المسلمين.

---

(١) رواه البخاري وأبو داود.

الباب الثاني

أقوال وأفعال تنافي التوحيد أو تنقصه

وفيه الفصول التالية :

الفصل الأول : ادعاء علم الغيب في قراءة الكف والفنجان والتنجيم . . إلخ .

الفصل الثاني : السحر والكهانة والعرافة .

الفصل الثالث : تقديم القرابين والنذور والهدايا للمزارات والقبور وتعظيمها .

الفصل الرابع : تعظيم التماثيل والنصب التذكارية .

الفصل الخامس : الاستهزاء بالدين والاستهانة بحرماته .

الفصل السادس : الحكم بغير ما أنزل الله .

الفصل السابع : ادعاء حق التشريع والتحليل والتحريم .

الفصل الثامن : الانتماء إلى المذاهب الإلحادية والأحزاب الجاهلية .

الفصـــل التاسـع : النظرة المادية للحياة .

الفصـــل العاشـر: التمائم والرقى .

الفصـــل الحادي عشر: الحلـف بغـير الله والتوسـل والاستعانـة بالمخلـوق دون الله .

ادعاء علم الغيب في قراءة الكف والفنجان وغيرهما

المراد بالغيب:

ما غاب عن الناس من الأمور المستقبلة والماضية وما لا يرونه، وقد اختص الله تعالى بعلمه، وقال تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ [النمل: ٦٥]، فلا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وحده، وقد يطلع رسله على ما شاء من غيبه لحكمة ومصلحة، قال تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧]، أي لا يطلع على شيء من الغيب إلا من اصطفاه لرسالته، فيظهره على ما يشاء من الغيب. لأنه يستدل على نبوته بالمعجزات التي منها الإخبار عن الغيب الذي يطلعه الله عليه. وهذا يعم الرسول الملكي والبشري، ولا يطلع غيرهما لدليل الحصر. فمن ادعى علم الغيب بأي وسيلة من الوسائل ـ غير من استثناه الله من رسله ـ فهو كاذب كافر ـ سواء ادعى ذلك بواسطة قراءة الكف أو الفنجان

أو الكهانة أو السحر أو التنجيم أو غير ذلك وهذا الذي يحصل من بعض المشعوذين والدجالين من الأخبار من مكان الأشياء المفقودة والأشياء الغائبة. وعن أسباب بعض الأمراض، فيقولون فلان عمل لك كذا وكذا فمرضت بسببه، إنما هو لاستخدام الجن والشياطين، ويظهرون للناس أن هذا يحصل لهم عن طريق عمل هذه الأشياء من باب الخداع والتلبيس.. قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1]: والكهان كأن يكون لأحدهم القرين من الشياطين يخبره بكثير من المغيبات بما يسترقه من السمع. وكانوا يخلطون الصدق بالكذب، إلى أن قال: ومن هؤلاء من يأته الشيطان بأطعمة: فواكه وحلوى وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع. ومنهم من يطير به الجني إلى مكة أو بيت المقدس أو غيرهما - انتهى.

وقد يكون إخبارهم عن ذلك عن طريق التنجيم - وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية:

---

(١) انظر مجموعة التوحيد (٧٩٧، ٨٠١).

وأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر وتغير الأسعار وغير ذلك من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها . ويقولون : من تزوج بنجم كذا وكذا حصل له كذا وكذا ، ومن سافر بنجم كذا حصل له كذا ، ومن ولد بنجم كذا وكذا حصل له كذا من السعود أو النحوس . كما يعلن في بعض المجلات الساقطة عن الخزعبلات حول البروج وما يجري فيها من الحظوظ .

وقد يذهب بعض الجهال وضعاف الإيمان إلى هؤلاء المنجمين فيسألهم عن مستقبل حياته وما يجري عليه فيه وعن زواجه وغير ذلك . ومن ادعى علم الغيب أو صدَّق من يدعيه فهو مشرك كافر ، لأنه يدعي مشاركة الله فيما هو من خصائصه . والنجوم مسخرة مخلوقة ليس لها من الأمر شيء ، ولا تدل على نحوس ولا سعود ولا موت ولا حياة . وإنما هذا كله من أعمال الشياطين الذين يسترقون السمع .

السحر والكهانة والعرافة

كل هذه الأمور أعمال شيطانية محرمة . تخل بالعقيدة أو تناقضها لأنها لا تحصل إلا بأمور شركية .

١- فالسحر: عبارة عما خفي ولطف سببه :

سمي سحراً، لأنه يحصل بأمور خفية لا تدرك بالأبصار - وهو عزائم ورقى وكلام يتكلم به وأدوية وتدخينات . وله حقيقة . ومنه ما يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه وتأثيره بإذن الله الكوني القدري - وهو عمل شيطاني - وكثير منه لا يتوصل إليه إلا بالشرك والتقرب إلى الأرواح الخبيثة بما تحب والتوصل إلى استخدامها بالإشراك بها - ولهذا قرنه الشارع بالشرك حيث يقول النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: وما هي؟ قال: الإشراك بالله والسحر»[1] الحديث. فهو داخل في الشرك من ناحيتين :

(١) رواه البخاري ومسلم .

الناحيـة الأولى: مـا فيــه من استخــدام الشيـاطين والتعلق بهم والتقـرب إليهم بما يحبـونه ليقـومـوا بخدمـة الساحر. فالسحـر من تعليم الشيـاطين - قال تعـالى: ﴿ولكن الشيـاطين كفــروا يعلمـون النـاس السحـــر﴾ [البقـرة: ١٠٢].

الناحية الثانية: ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في ذلك. وهذا كفـر وضلال، قـال تعالى: ﴿ولقد علمـوا لمن اشتراه ما لـه في الآخـرة من خـلاق﴾ [البقرة: ١٠٢]، أي نصيـب وإذا كان كذلك فـلا شك أنه كفـر وشرك يناقض العقيدة ويجب قتل متعـاطيه. كما فعل جماعـة من أكـابـر الصحابـة رضي الله عنهم - وقـد تساهل الناس في شأن الساحر والسحر، وربما عدوا ذلك فنا من الفنـون التـي يفتخـرون بها ويمنحـون أصحـابها الجوائز والتشجيـع. ويقيمـــون النـــوادي والحفـــلات والمسـابقـات للسحــرة، ويحضرهـا آلاف المتفـرجين

والمشجعين. وهذا من الجهل بالدين والتهاون بشأن العقيدة وتمكين للعابثين بها.

٢- الكهانة والعرافة:

وهما ادعاء الغيب ومعرفة الأمور الغائبة: كالأخبار بما سيقع في الأرض وما سيحصل. وأين مكان الشيء المفقود. وذلك عن طريق استخدام الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء. قال تعالى: ﴿هل أنبئكم علىٰ من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم * يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣]، وذلك أن الشيطان يسترق الكلمة من كلام الملائكة، فيلقيها في أذن الكاهن، ويكذب الكاهن مع هذه الكلمة مائة كذبة، فيصدقه الناس بسبب تلك الكلمة التي سمعت من السماء. والله المنفرد بعلم الغيب. فمن ادعى مشاركته في شيء من ذلك بكهانة أو غيرها أو صدق من يدعي ذلك فقد جعل لله شريكاً فيما هو من خصائصه. والكهانة لا تخلو من الشرك، لأنها

..رب إلى الشياطين بما يحبون. فهي شرك في الربوبية من حيث ادعاء مشاركة الله في علمه، وشرك في الألوهية من حيث التقرب إلى غير الله بشيء من العبادة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[1].

ومما يجب التنبيه عليه والتنبه له: أن السحرة والكهان والعرافين يعبثون بعقائد الناس بحيث يظهرون بمظهر الأطباء، فيأمرون المرضى بالذبح لغير الله - بأن يذبحوا خروفاً ... كذا وكذا أو دجاجة. أو يكتبون لهم الطلاسم الشركية والتعاويذ الشيطانية بصفة حروز يعلقونها في رقابهم أو ...عونها في صناديقهم أو في بيوتهم. والبعض الآخر يظهر ...ظهر المخبر عن المغيبات وأماكن الأشياء المفقودة بحيث ... الجهال فيسألونه عن الأشياء الضائعة فيخبرهم بها أو ...رها لهم بواسطة عملائه من الشياطين - وبعضهم يظهر ...ظهر الولي الذي له خوارق وكرامات كدخول النار ولا تؤثر

(١) رواه أبو داود.

فيه . وضرب نفسه بالسلاح ، أو وضع نفسه تحت عجلات السيارة ولا تؤثر فيه أو غير ذلك من الشعوذات التي هي في حقيقتها سحر من عمل الشيطان يجري على أيدي هؤلاء للفتنة . أو هي أمور تخيلية لا حقيقة لها بل هي حيل خفيفة يتعاطونها أمام الأنظار كعمل سحرة فرعون بالحبال والعصي - قال شيخ الإسلام في مناظرته للسحرة البطائحية الأحمدية (الرفاعية) قال : (يعني شيخ البطائحية) ورفع صوته : نحن لنا أحوال وكذا وكذا . وادعى الأحوال الخارقة كالنار وغيرها واختصاصهم بها . وأنهم يستحقون تسليم الحال إليها لأجلها - قال شيخ الإسلام : فقلت ورفعت صوتي وغضبت : أنا أخاطب كل أحمدي من مشرق الأرض إلى مغربها . أي شيء فعلوه في النار فأنا أصنع مثل ما تصنعون ومن احترق فهو مغلوب . وربما قلت : فعليه لعنة الله - ولكن بعد أن تُغسل جسومنا بالخل والماء الحار - فسألني الأمراء والناس عن ذلك فقلت : لأن لهم حيلاً في الاتصال بالنار يصنعونها من أشياء من دهن الضفادع وقشر النارنج وحجر الطلق فضج الناس

بذلك - فأخذ يظهر القـدرة على ذلك فقال : أنا وأنت نُلَفُّ في بـارية بعـد أن تطلى جسومنـا بالكبريت . فقلـت : فقم . وأخذت أكرر عليـه في القيام إلى ذلك . فمد يـده يظهر خلع القميص . قلت : لا حتـى تغتسل بالماء الحار والخل فـأظهر الـوهم على عـادتهم فقـال : مـن كـان يحب الأمير فليحضر خشباً . أو قال حـزمة حطب . فقلت : هذا تطـويل وتفريق للجمع ولا يحصـل بـه مقصـود . بل قنـديـل يـوقـد وأدخل أصبعي وأصبعك فيه بعد الغسل ومن احترقت أصبعه فعليه لعنـة الله أو قلت فهـو مغلوب . فلما قلـت ذلك تغير وذل - انتهى[1] . والمقصود منه بيان أن هؤلاء الدجالين يكذبون على الناس بمثل هذه الحيل الخفية .

---

(١) مجموع الفتاوى ج ١١/٤٤٦ — ٤٦٥ .

تقديم القرابين والنذور والهدايا للمزارات والقبور وتعظيمها

لقد سد النبي ﷺ كل الطرق المفضية إلى الشرك، وحذر منها غاية التحذير. ومن ذلك مسألة القبور. فقد وضع الضوابط الواقية من عبادتها، والغلو في أصحابها، ومن ذلك:

١- أنه حذر ﷺ من الغلو في الأولياء والصالحين. لأن ذلك يؤدي إلى عبادتهم. فقال: «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو»[١]. وقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم. إنما أنا عبد فقولوا: عبدالله ورسوله»[٢].

٢- وحذر ﷺ من البناء على القبور - كما روى أبو الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب

(١) رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه

(٢) رواه البخاري.

رضي الله عنـــه : (ألا أبعثـك على مـا بعثنـي عليـــه رســـول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته . ولا قبراً مشرفاً إلا ســويته)[1] ونهى عــن تجصيصهـا والبنـاء عليها . عن جابر رضي الله عنه قال : (نهى رسول الله ﷺ عن تجصيـص القبر . وأن يقعد عليـه . وأن يبنى عليه بناء)[2] .

٣ - وحذر ﷺ من الصلاة عند القبـور . عن عائشة رضي الله عنها قالت : (لما نُزِلَ بـرسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة لـه عن وجهه . فإذا أَغتم بها كشفهـا . فقال وهو كـذلك : لعنة الله على اليهـود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجـد . يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخـذ مسجداً)[3] . وقال ﷺ : «ألا وإن من كـان قبلكم كانـوا يتخذون قبـور أنبيائهم مســاجد . ألا فلا تتخذوا القبـور مساجد .

---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه مسلم .

(٣) متفق عليه .

فإني أنهاكم عن ذلك»[١] واتخاذها مساجد معناه الصلاة عندها و إن لم يُبْنَ مسجد عليها. فكل موضع قصد للصلاة فيه اتخذ مسجداً. كما قال ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»[٢] فإذا بني عليها مسجد فالأمر أشد.

وقد خالف أكثر الناس هذه النواهي، وارتكبوا ما حذر منه النبي ﷺ فوقعوا بسبب ذلك في الشرك الأكبر. فبنوا على القبور مساجد وأضرحة ومقامات. وجعلوها مزارات تمارس عندها كل أنواع الشرك الأكبر. من الذبح لها، ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، وصرف النذور لهم، وغير ذلك. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه. وبين ما عليه أكثر الناس اليوم[٣] رأى أحدهما مضادًا للآخر مناقضاً له بحيث لا يجتمعان أبداً.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) يعني في وقته رحمه الله وقد زاد الأمر على ما ذكر.

فنهى رسول الله ﷺ عن الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يصلون عندها. ونهى عن اتخاذها مساجد. وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد. مضاهاة لبيوت الله. ونهى عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها. ونهى عن أن تتخذ عيداً، وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك. ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر. وأمر بتسويتها - كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته). وفي صحيحه أيضاً عن ثمامة بن شُفيّ، قال: (كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوي ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها)[1] وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين، ويرفعونها عن الأرض كالبيت،

---

(١) أي بعدم رفعها.

ويعقدون عليها القباب - إلى أن قال: فانظرِ إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله ﷺ وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور. وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه. ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره - ثم أخذ يذكر تلك المفاسد - إلى أن قال: ومنها أن الذي شرعه النبي ﷺ عند زيارة القبور إنما هو تذكر الآخرة والإحسان إلى المزور بالدعاء له والترحم عليه والاستغفار وسؤال العافية له. فيكون الزائر محسناً إلى نفسه وإلى الميت. فقلب هؤلاء المشركون الأمر، وعكسوا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعاؤه والدعاء به وسؤال حوائجهم واستنزال البركات منه ونصره لهم على الأعداء ونحو ذلك. فصاروا مسيئين إلى أنفسهم وإلى الميت ولو لم يكن إلا بحرمانه بركة ما شرعة تعالى من الدعاء والترحم عليه والاستغفار له.. انتهى[1].

وبهذا يتضح أن تقديم النذور والقرابين للمزارات شرك أكبر. سببه مخالفة هَدْي النبي ﷺ في الحالة التي يجب أن

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢١٤-٢١٥-٢١٧).

تكون عليها القبـور. من عدم البناء عليها. وإقامـة المساجد عليها - لأنها لما بنيت عليها القباب وأقيمـت حولها المساجد والمزارات ظن الجهـال أن المدفـونين فيها ينفعـون أو يضرون. وأنهم يغيثون مـن استغاث بهم، ويقضون حـوائج من التجأ إليهم، فقدموا لهم النذور والقرابين. حتى صارت أوثاناً تعبد من دون الله - وقد قـال النبي ﷺ: «اللهم لا تجعـل قبري وثناً يعبد»[1] وما دعا بهذا الدعاء إلا لأنه سيحصل شيء من ذلك في غير قبره ﷺ، وقـد حصل في كثير من بـلاد الإسلام، أما قبره فقد حماه الله ببركة دعائه ﷺ. وإن كان قـد يحصل في مسجـده شيء من المخـالفات مـن بعض الجهال أو الخرافين. لكنهـم لا يقدرون على الـوصول إلى قبره ﷺ. لأن قبره في بيته، وليس في المسجد، وهو محوط بالجدران - كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله في نونيته:

فاستجاب رب العالمين دعاءه وأحـاطه بثـلاثـة الجدران

---

(١) رواه مالك وأحمد.

في بيان حكم تعظيم التماثيل والنصب التذكارية

التماثيل: جمع تمثال - وهو الصورة المجسمة على شكل إنسان أو حيوان أو غيرهما مما فيه روح - والنصب في الأصل: العَلَمُ وأحجار كان المشركون يذبحون لإحياء ذكرى زعيم أو معظم على صورهم.

ولقد حذر النبي ﷺ من تصوير ذوات الأرواح. ولا سيما تصوير المعظمين من البشر: كالعلماء والملوك والعبّاد والقادة والرؤساء. سواء كان هذا التصوير عن طريق رسم الصورة على لوحة أو ورقة أو جدار أو ثوب. أو عن طريق الالتقاط بالآلة الضوئية المعروفة في هذا الزمان. أو عن طريق النحت وبناء الصورة على هيئة التمثال. ونهى ﷺ عن تعليق الصور على الجدران ونحوها. وعن نصب التماثيل ومنها النصب التذكارية. لأن ذلك وسيلة إلى الشرك. فإن أول شرك حدث في الأرض كان بسبب التصوير ونصب الصور. وذلك أنه كان في قوم نوح رجال

صالحون، فلما ماتوا حزن عليهم قومهم، فأوحى إليهم الشيطان أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد. حتى إذ هلك أولئك ونسي العلم عبدت[1] ولما بعث الله نبيه نوحاً عليه السلام ينهى عن الشرك الذي حصل بسبب تلك الصورة التي نصبت امتنع قومه من قبول دعوته، وأصروا على عبادة تلك الصورة المنصوبة التي تحولت إلى أوثان: ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ [نوح: ٢٣]، وهذه أسماء الرجال الذين صورت لهم تلك الصور على أشكالهم إحياء لذكرياتهم وتعظيماً لهم.

فانظر ما آل إليه الأمر بسبب هذه الأنصاب التذكارية من الشرك بالله ومعاندة رسله. مما سبّب إهلاكهم بالطوفان ومقتهم عند الله وعند خلقه. مما يدل على خطورة التصوير ونصب الصور. ولهذا لعن النبي ﷺ

---

(١) رواه البخاري.

المصوريـن . وأخبر أنهم أشد الناس عـذاباً يوم القيـامة . وأمر بطمس الصور. وأخبر أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة . كل ذلك من أجل مفاسـدها وشدة مخاطرها على الأمـة في عقيدتها . فـإن أول شرك حدث في الأرض كـان بسبب نصب الصـور، وسواء كـان هذا النصـب للصور والتماثيل في المجـالس أو الميـادين أو الحدائق . فإنـه محرم شرعـاً لأنه وسيلـة إلى الشرك وفسـاد العقيدة . وإذا كـان الكفار اليوم يعملون هـذا العمل ، لأنهم ليس لهم عقيدة يحافظون عليهـا . فإنـه لا يجوز للمسلمين أن يتشبهوا بهم ويشاركوهم في هذا العمل حفاظاً على عقيدتهم التي هي مصدر قوتهم وسعادتهم .

في بيان حكم الاستهزاء بالدين والاستهانة بحرماته

الاستهزاء بالدين ردة عن الإسلام، وخروج عن الدين بالكلية. قال الله تعالى: ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

هذه الآية: تدل على أن الاستهزاء بالله كفر. وأن الاستهزاء بالرسول كفر، وأن الاستهزاء بآيات الله كفر، فمن استهزأ بواحد من هذه الأمور فهو مستهزىء بجميعها. والذي حصل من هؤلاء المنافقين أنهم استهزءوا بالرسول وصحابته فنزلت الآية. فالاستهزاء بهذه الأمور متلازم، فالذين يستخفون بتوحيد الله تعالى ويعظمون دعاء غيره من الأموات. وإذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا بذلك. كما قال تعالى: ﴿وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا * إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا

عليها﴾ [الفرقان: ٤١-٤٢]، فاستهزءوا بالرسول ﷺ لما نهاهم عن الشرك. وما زال المشركون يعيبون الأنبياء ويصفونهم بالسفاهة والضلال والجنون إذا دعوهم إلى التوحيد. لما في أنفسهم من تعظيم الشرك. وهكذا تجد من فيه شبه منهم إذا رأى من يدعو إلى التوحيد استهزأ بذلك لما عنده من الشرك. قال الله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله﴾ [البقرة: ١٦٥].

فمن أحب مخلوقاً مثل ما يحب الله فهو مشرك. ويجب الفرق بين الحب في الله والحب مع الله، فهؤلاء الذين اتخذوا القبور أوثاناً تجدهم يستهزءون بما هو من توحيد الله وعبادته، ويعظمون ما اتخذوه من دون الله شفعاء، ويحلف أحدهم اليمين الغموس كاذباً ولا يجترىء أن يحلف بشيخه كاذباً. وكثير من طوائف متعددة ترى أحدهم يرى أن استغاثته بالشيخ إما عند قبره أو غير قبره أنفع له من أن يدعو الله في المسجد عند السَّحَر.

ويستهزىء بمن يعدل عن طريقته إلى التوحيد. وكثير منهم يخربون المساجد ويعمرون المشاهد. فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وبآياته ورسوله وتعظيمهم للشرك[1]. وهذا كثير وقوعه في القبوريين اليوم.

والاستهزاء على نوعين:

أحدهما: الاستهزاء الصريح كالذي نزلت الآية فيه وهو قولهم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً. ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء. أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين. كقول بعضهم: دينكم هذا دين خامس. وقول الآخر: دينكم أخرق. وقول الآخر إذا رأى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر: جاءكم أهل الدين. من باب السخرية بهم. وما أشبه ذلك مما لا يحصى إلا بكلفة مما هو أعظم من قول الذين نزلت فيهم الآية.

النوع الثاني: غير الصريح، وهو البحر الذي لا ساحل له - مثل الرمز بالعين. وإخراج اللسان ومد

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٤٨-٤٩).

الشفة. والغمز باليد عند تلاوة كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ وعند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1] -.

ومثل هذا ما يقوله بعضهم: إن الإسلام لا يصلح للقرن العشرين - وإنما يصلح للقرون الوسطى. وأنه تأخر ورجعية. وأن فيه قسوة ووحشية في عقوبات الحدود والتعازير. وأنه ظلم المرأة حقوقها حيث أباح الطلاق وتعدد الزوجات؛ وقولهم: الحكم بالقوانين الوضعية أحسن للناس من الحكم بالإسلام. ويقولون في الذي يدعو إلى التوحيد وينكر عبادة القبور والأضرحة: هذا متطرف. أو يريد أن يفرق جماعة المسلمين. أو هذا وهابي أو مذهب خامس. وما أشبه هذه الأقوال التي كلها سب للدين وأهله واستهزاء بالعقيدة الصحيحة ولا حول ولا قوة إلا بالله. ومن ذلك استهزاؤهم بمن تمسك بسنة من سنن الرسول ﷺ فيقولون: الدين ليس في الشعر استهزاء بإعفاء اللحية - وما أشبه هذه الألفاظ الوقحة.

---

(١) مجموعة التوحيد النجدية صفحة ٤٠٩.

الحكم بغير ما أنزل الله

من مقتضى الإيمان بالله تعالى وعبادته الخضوع لحكمه والرضا بشرعه والرجوع إلى كتابه وسنة رسوله عند الاختلاف في الأقوال وفي الأصول وفي الخصومات وفي الدماء والأموال وسائر الحقوق. فإن الله هو الحكم وإليه الحكم. فيجب على الحكام أن يحكموا بما أنزل الله. ووجب على الرعية أن يتحاكموا إلى ما أنزل الله في كتابه وسنة رسوله. قال تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ [النساء: ٥٨]، وقال في حق الرعية: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ [النساء: ٥٩]. ثم بين أنه لا يجتمع الإيمان مع التحاكم إلى غير ما أنزل الله، فقال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن

يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا﴾ [النساء: ٦٠]، إلى قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [النساء: ٦٥].

فنفى سبحانه - نفياً مؤكداً بالقسم - الإيمان عمن لم يتحاكم إلى الرسول ﷺ ويرضى بحكمه ويسلم له - كما أنه حكم بكفر الولاة الذين لا يحكمون بما أنزل الله وبظلمهم وفسقهم، قال تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ [المائدة: ٤٧].

ولابد من الحكم بما أنزل الله والتحاكم إليه في جميع مواد النزاع في الأقوال الاجتهادية بين العلماء. فلا يقبل منها إلا ما دل عليه الكتاب والسنة من غير تعصب

لمذهب ولا تحيز لإمام. وفي المرافعات والخصومات في سائر الحقوق لا في الأحوال الشخصية فقط، كما في بعض الدول التي تنتسب إلى الإسلام - فإن الإسلام كل لا يتجزأ. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وقال تعالى: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ [البقرة: ٨٥].

وكذلك يجب على أتباع المذاهب أن يردوا أقوال أئمتهم إلى الكتاب والسنة، فما وافقهما أخذوا به، وما خالفهما ردوه دون تعصب أو تحيز. ولا سيما في أمور العقيدة، فإن الأئمة رحمهم الله يوصون بذلك - وهذا مذهبهم جميعاً - فمن خالف ذلك فليس متبعاً لهم، وإن انتسب إليهم. وهو ممن قال الله فيهم: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم﴾ [التوبة: ٣١]، فليست الآية خاصة بالنصارى، بل تتناول كل من فعل مثل فعلهم (فمن خالف ما أمر الله به ورسوله ﷺ بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله، أو

طلب ذلك اتباعاً لما يهواه ويريده، فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان من عنقه. وإن زعم أنه مؤمن. فإن الله تعالى أنكر على من أراد ذلك وأكذبهم في زعمهم الإيمان. لما في ضمن قوله: (يزعمون) من نفي إيمانهم فإن (يزعمون) إنما يقال غالباً لمن ادعى دعوى هو فيها كاذب لمخالفته لموجبها وعمله بما ينافيها. يحقق هذا قوله تعالى: ﴿وقد أمروا أن يكفروا به﴾ [النساء: ٦٠] لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد. كما في آية البقرة [(١)] فإذا لم يحصل هذا الركن لم يكن موحداً. والتوحيد هو أساس الإيمان الذي تصلح به جميع الأعمال وتفسد بعدمه، كما أن ذلك بين في قوله: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وذلك أن التحاكم إلى الطاغوت إيمان به)[(٢)].

---

(١) يعني قوله تعالى ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ﴾.

(٢) فتح المجيد ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨.

ونفي الإيمان عمن لمن يحكم بما أنـزل الله يدل على أن تحكيم شرع الله إيمان وعقيـدة وعبادة لله، يجب أن يـدين بها المسلم. فلا يُحكِّمُ شرع الله من أجل أن تحكيمه أصلح للناس وأضبط للأمن فقط، فإن بعض الناس يرتكز على هذا الجانـب، وينسى الجانب الأول - والله سبحانـه قد عـاب على من يحكـم شرع الله لأجل مصلحـة نفسـه من دون تعبد لله تعـالى: فقال سبحانـه: ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسـوله ليحكم بينهـم إذا فريـق منهم معرضـون * وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين﴾ [النور: ٤٨-٤٩]، فهم لا يهتمون إلا بما يهوون. وما خالف هواهم أعرضوا عنه، لأنهم لا يتعبدون لله بالتحاكم إلى رسوله ﷺ.

حكم من حكم بغير ما أنزل الله:

قـال تعالى: ﴿ومن لم يحكـم بما أنزل الله فأولئـك هم الكافرون﴾ [المائدة: ٤٤]، في هذه الآية الكريمة أن الحكـم بغير ما أنـزل الله كفر. وهذا الكفـر تارة يكـون كفراً أكبر ينقل عن الملة. وتارة يكون كفراً أصغر لا يخرج من الملة،

وذلك بحسب حال الحاكم، فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنـزل الله غير واجب، وأنه مخير فيـه، أو استهـان بحكم الله، واعتقد أن غيره من القوانين والنظم الوضعية أحسن منه، وأنـه لا يصلح لهذا الزمان، أو أراد بـالحكم بغير ما أنزل الله استرضـاء الكفار والمنافقين فهـذا كفر أكبر. وإن اعتقد وجـوب الحكم بما أنزل الله وعلمـه في هذه الـواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاص، ويسمى كافـراً كفراً أصغر. وإن جهل حكـم الله فيه مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه فهذا مخطيء، له أجر على اجتهاده وخطؤه مغفور[1]. وهذا في الحكم في القضية الخاصة. وأما الحكم في القضايا العامة فإنه يختلف. قال شيخ الإسلام ابن تيمية[2]: فإن الحاكم إذا كـان ديّنا لكنـه حكم بغير علم كـان من أهل النـار. وإن كان عالماً لكنه حكم بخلاف الحق الذي يعلمه كان من أهـل النـار. وإذا حكم بـلا عـدل ولا علـمٍ أولى أن

(١) شرح الطحاوية صفحة (٣٦٣-٣٦٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٣٨٨).

يكون من أهل النار. وهـذا إذا حكم في قضية لشخص. وأما إذا حكم حكماً عـاماً في دين المسلمين، فجعل الحق باطـلاً، والباطل حقـاً، والسنة بدعـة، والبدعـة سنة، والمعـروف منكراً، والمنكـر معروفـاً. ونهى عما أمر الله بـه ورسولـه. وأمر بما نهى الله عنـه ورسولـه، فهذا لـون آخر يحُكم فيـه رب العالمين. وإله المرسلين مـالك يوم الـدين الـذي لـه الحمد في الأولى والآخـرة: ﴿لـه الحكم وإليـه ترجعون﴾ [القصـص: ٨٨]، ﴿هـو الذي أرسـل رسولـه بـالهدىٰ ودين الحق ليظهـره على الـدين كلـه وكفىٰ بـالله شهيداً﴾ [الفتح: ٢٨].

وقال أيضاً: ولا ريب أن مـن لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهـو كافر. فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عـدلاً من غير اتباع لما أنزل الله فهو كفر. فإنه ما من أمة إلا وهي تـأمر بالحكم بالعدل. وقد يكـون العدل في دينهـا مـا يـراه أكابـرهم: بـل كثير من المنتسبين إلى الإسـلام يحكمون بعـاداتهم التي لم ينـزلها الله

كسوالف البادية (أي عادات من سلفهم) وكانوا الأمراء المطاعين، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة وهذا هو الكفر. فإن كثيراً من الناس أسلموا ولكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون. فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك. بل اسْتَحَلُّوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار[1]، انتهى. وقال الشيخ محمد بن إبراهيم: وأما الذي قيل فيه: إنه كفر دون كفر إذا حاكم إلى غير الله مع اعتقاده أنه عاص وأن حكم الله هو الحق، فهذا الذي يصدر منه المرة ونحوها. أما الذي جعل قوانين بترتيب وتخضيع فهو كفر وإن قالوا أخطأنا وحكم الشرع أعدل. فهذا كفر ناقل عن الملة[2]. ففرق رحمه الله بين الحكم الجزئي الذي لا يتكرر وبين الحكم العام الذي هو المرجع في جميع الأحكام أو غالبها، وقرر

---

(١) منهاج السنة النبوية.

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٢/ ٢٨٠).

أن هذا الكفر ناقل عن الملة مطلقاً، وذلك لأن من نحى الشريعة الإسلامية، وجعل القانون الوضعي بديلاً منها فهذا دليل على أنه يرى أن القانون أحسن وأصلح من الشريعة، وهذا لا شك أنه كفر أكبر يخرج من الملة ويناقض التوحيد.

ادعاء حق التشريع والتحليل والتحريم

تشريع الأحكام التي يسير عليها العباد في عبادتهم ومعاملاتهم وسائر شؤونهم والتي تفصل النزاع بينهم وتنهي الخصومات حق لله تعالى رب الناس وخالق الخلق: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ [الأعراف: ٥٤]، وهو الذي يعلم ما يصلح عباده فيشرعه لهم. فبحكم ربوبيته لهم يشرّع لهم. وبحكم عبوديتهم له يقبلون أحكامه - والمصلحة في ذلك عائدة إليهم - قال تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه

من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي . . . ﴾ [الشورى : ١٠] ، واستنكر سبحانه أن يتخذ العباد مُشرِّعاً غيره فقال : ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله . . . ﴾ [الشورى : ٢١] .

فمن قبل تشريعاً غير تشريع الله فقد أشرك بالله تعالى - وما لم يشرعه الله ورسوله من العبادات فهو بدعة . وكل بدعة ضلالة - قال ﷺ : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[1] . وفي رواية : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[2] . وما لم يشرعه الله ولا رسوله في السياسة والحكم بين الناس فهو حكم الطاغوت وحكم الجاهلية : ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾ [المائدة : ٥٠]، وكذلك التحليل والتحريم حق لله تعالى ، لا يجوز لأحد أن يشاركه فيه . قال تعالى : ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه

---

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه مسلم .

لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ [الأنعام: ١٢١].

فجعل سبحانه طاعة الشياطين وأوليائهم في تحليل ما حرم الله شركاً به سبحانه. وكذلك من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله، لقول الله تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ [التوبة: ٣١]، وعند الترمذي وغيره أن النبي ﷺ تلا هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه فقال: (يا رسول الله لسنا نعبدهم. قال: أليس يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ قال: بلى. قال النبي ﷺ فتلك عبادتهم)[١] فصارت طاعتهم في التحليل والتحريم من دون الله عبادة لهم وشركاً - وهو شرك أكبر ينافي التوحيد الذي هو

---

(١) رواه الترمذي وابن جرير وغيرهما.

مـدلول شهـادة أن لا إلـه إلا الله[1] فإن مـن مدلـولها أن التحليل والتحريـم حق له تعالى - وإذا كـان هذا فيمن أطاع العلماء والعبَّـاد في التحليل والتحريم الـذي يخالف شرع الله مع أنهم أقـرب إلى العلـم والـدين، وقـد يكـون خطؤهـم عن اجتهاد لم يصيبـوا فيه الحق وهم مـأجورون عليه، فكيف بمـن يطيع أحكام القوانين الـوضعية التي هـي من صنـع الكفـار والملحـدين - يجلبهـا إلى بـلاد المسلمين ويحكم بها بينهم - فلا حول ولا قوة إلا بالله.

إن هذا قد اتخذ الكفار أرباباً من دون الله، يشرعون له الأحكام، ويبيحون له الحرام، ويحكمون بين الأنام.

---

(١) فتح المجيد ص ١٠٧.

حكم الانتماء إلى المذاهب الإلحادية والأحزاب الجاهلية

١- الانتماء إلى المذاهب الإلحادية: كالشيوعية والعلمانية والرأسمالية وغيرها من مذاهب الكفر ردة عن دين الإسلام. فإن كان المنتمي إلى تلك المذاهب يدعي الإسلام فهذا من النفاق الأكبر، فإن المنافقين ينتمون إلى الإسلام في الظاهر، وهم مع الكفار في الباطن - كما قال تعالى فيهم: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾ [البقرة: ١٤]، وقال تعالى: ﴿الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين﴾ [النساء: ١٤١].

فهؤلاء المنافقون المخادعون: لكل منهم وجهان: وجه يلقى به المؤمنين، ووجه ينقلب به إلى إخوانه من الملحدين، وله لسانان: أحدهما يقبله بظاهره المسلمون،

والآخر يترجم عن سره المكنون : ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾ [البقرة: ١٤]، قد أعرضوا عن الكتاب والسنة استهزاء بأهلهما واستحقاراً، وأبوا أن ينقادوا لحكم الوحيين فرحاً بما عندهم من العلم الذي لا ينفع الاستكثار منه إلا شراً واستكباراً . فتراهم أبداً بالمتمسكين بصريح الوحي يستهزءون : ﴿الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾[1] [البقرة: ١٥]، وقد أمر الله بالانتماء إلى المؤمنين : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة: ١٩].

وهذه المذاهب الإلحادية مذاهب متناحرة، لأنها مؤسسة على الباطل، فالشيوعية تنكر وجود الخالق سبحانه وتعالى، وتحارب الأديان السماوية، ومن يرضى لعقله أن يعيش بلا عقيدة، وينكر البدهيات اليقينية فيكون ملغياً لعقله، والعلمانية تنكر الأديان وتعتمد على

(١) صفات المنافقين رسالة لابن القيم ص ١٩ .

الماديات التـي لا موجه لها ولا غـاية لها في هـذه الحياة إلا الحياة البهيميـة؟ والرأسمالية همهـا جمع المال من أي وجه ولا تقيد بحلال ولا حرام ولا عطف ولا شفقة على الفقراء والمساكين. وقوام اقتصادها على الربا الذي هو محاربة لله ولرسـوله. والذي هـو دمار الدول والأفـراد، وامتصاص دماء الشعوب الفقيرة؛ وأي عاقـل - فضلاً عمن فيه ذرة من إيمان - يرضى أن يعيش على هـذه المذاهب بلا عقل ولا دين ولا غاية صحيحة من حياته يهدف إليها ويناضل من أجلهـا. إنما غـزت هـذه المذاهـب بـلاد المسلمين لما غـاب عـن أكثـريتهـا الـديـن الصحيح، وتـربـت على الضياع، وعاشت على التبعية.

٢- والانتماء للأحزاب الجاهلية والقوميات العنصرية هو الآخر كفر وردة عن دين الإسلام، لأن الإسلام يرفض العصبيـات والنعـرات الجاهليـة يقـول تعـالى: ﴿يـا أيها النـاس إنا خلقنـاكم من ذكـر وأنثى وجعلنـاكم شعوبـا

وقبائل لتعارفوا إن أكـرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣]، ويقول النبي ﷺ: «ليس منـا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبيـة، وليس منـا من غضب لعصبية»[١]، وقال ﷺ: «إن الله قد أذهـب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخـرها بـالآباء، إنما هـو مؤمـن تقي أو فاجـر شقي، النـاس بنو آدم وآدم خلـق من تـراب، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»[٢].

وهــذه الحزبيـات تفــرق المسلمين، والله قـد أمــر بالإجتماع والتعـاون على البر والتقوى، ونهى عـن التفرق والاختـلاف - قال تعـالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعـاً ولا تفرقوا واذكروا نعمـت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلـوبكم فـأصبحتم بنعمتـه إخـوانـا﴾ [آل عمـران: ١٠٣]، إن الله سبحانه يـريد منا أن نكون حـزباً واحداً، هم حـزب الله المفلحون (ولكن العـالم الإسلامـي أصبح

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الترمذي وغيره.

بعدما غزته أوروبا سياسياً وثقافياً، يخضع لهذه العصبيات الدموية والجنسية والوطنية، ويؤمن بها كقضية علمية وحقيقة مقررة وواقع لا مفر منه. وأصبحت شعوبه تندفع اندفاعاً غريباً إلى إحياء هذه العصبيات التي أماتها الإسلام والتغني بها وإحياء شعائرها والافتخار بعهدها الذي تقدم على الإسلام، وهو الذي يلح الإسلام على تسميته بالجاهلية. وقد منّ الله على المسلمين بالخروج عنها وحثهم على شكر هذه النعمة.

والطبيعي من المؤمن أن لا يذكر جاهلية تقادم عهدها أو قارب إلا بمقت وكراهية وامتعاض واقشعرار. وهل يذكر السجين المعذب الذي يطلق سراحه أيام اعتقاله وتعذيبه وامتهانه إلا وعرته قشعريرة. وهل يذكر البريء من علة شديدة طويلة أشرف منها على الموت أيام سقمه إلا وانكسف باله وانتقع لونه[1] - والواجب أن يعلم أن

(١) من رسالة: (ردة ولا أبا بكر لها) لأبي حسن الندوي.

هذه الحزبيات عذاب بعثـه الله على من أعرض عن شرعه وتنكر لدينه كما قال تعالى: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ [الأنعام: ٦٥]، وقال ﷺ: «وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»[1] إن التعصب للحزبيات يسبب رفض الحق الذي مع الآخرين كحال اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم﴾ [البقرة: ٩١]، وكحال أهل الجاهلية الذين رفضوا الحق الذي جاءهم به الرسول ﷺ تعصباً لما عليه آباؤهم: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾ [البقرة: ١٧٠]. ويريد أصحاب هذه الحزبيات أن يجعلوها بديلة عن الإسلام الذي منَّ الله به على البشرية.

---

(١) من حديث رواه ابن ماجه.

النظرية المادية للحياة ومفاسد هذه النظرية

هناك نظرتان للحياة، نظرة مادية للحياة ونظرة صحيحة، ولكل من النظرتين آثارها:

(١) فالنظرة المادية للحياة - (معناها):

أن يكون تفكير الإنسان مقصوراً على تحصيل ملذاته العاجلة، ويكون عمله محصوراً في نطاق ذلك، فلا يتجاوز تفكيره ما وراء ذلك من العواقب، ولا يعمل له، ولا يهتم بشأنه، ولا يعلم أن الله جعل هذه الحياة الدنيا مزرعة للآخرة، فجعل الدنيا دار عمل، وجعل الآخرة دار جزاء. فمن استغل دنياه بالعمل الصالح ربح الدارين، ومن ضيع دنياه ضاعت آخرته: ﴿خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ [الحج: ١١]، فالله لم يخلق هذه الدنيا عبثاً، بل خلقها لحكمة عظيمة، قال تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ [الملك: ٢]، وقال تعالى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا﴾

[الكهف: ٧]، أوجد سبحانه في هذه الحياة من المتع العاجلة والزينة الظاهرة من الأموال والأولاد والجاه والسلطان وسائر المستلذات ما لا يعلمه إلا الله.

فمن الناس - وهم الأكثر - من قصر نظره على ظاهرها ومفاتنها، ومتع نفسه بها ولم يتأمل في سرها، فانشغل بتحصيلها وجمعها والتمتع بها عن العمل لما بعدها. بل أنكر أن يكون هناك حياة غيرها كما قال تعالى: ﴿وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾ [الأنعام: ٢٩]، وقد توعد الله تعالى من هذه نظرته للحياة، فقال تعالى: ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ۞ أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾ [يونس: ٧-٨]. وقال تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ۞ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ [هود: ١٥-١٦].

وهذا الوعيد يشمل أصحاب هذه النظرة، سواء كانوا من الذين يعملون عمل الآخرة يريدون به الحياة الدنيا كالمنافقين والمرائين بأعمالهم أو كانوا من الكفار الذين لا يؤمنون ببعث ولا حساب كحال أهل الجاهلية والمذاهب الهدَّامة من رأسمالية وشيوعية وعلمانية إلحادية، وأولئك لم يعرفوا قدر الحياة ولا تعدو نظرتهم بها أن تكون كنظرة البهائم. بل هم أضل سبيلاً، لأنهم ألغوا عقولهم وسخروا طاقاتهم وضيعوا أوقاتهم فيما لا يبقى لهم ولا يبقون له، ولم يعملوا لمصيرهم الذي ينتظرهم ولابد لهم منه.

والبهائم ليس لها مصير ينتظرها وليس لها عقول تفكر بها بخلاف أولئك، ولهذا يقول تعالى فيهم: ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾ [الفرقان: ٤٤]، وقد وصف الله أهل هذه النظرة بعدم العلم، قال تعالى: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ [الروم: ٦-٧].

فهم وإن كانوا أهل خبرة في المخترعات والصناعات، فهم جُهَّال لا يستحقون أن يوصفوا بالعلم، لأن علمهم لم يتجاوز ظاهر الحياة الدنيا. وهذا علم ناقص لا يستحق أصحابه أن يطلق عليهم هذا الوصف الشريف، فيقال: العلماء، وإنما يطلق هذا على أهل معرفة الله وخشيته، كما قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨]، ومن النظرة المادية للحياة الدنيا ما ذكره في قصة قارون وما آتاه الله من الكنوز: ﴿فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم﴾ [القصص: ٧٩]. فتمنوا مثله وغبطوه ووصفوه بالحظ العظيم بناء على نظرتهم المادية، وهذا كما هو الحال الآن في الدول الكافرة وما عندها من تقدم صناعي واقتصادي، فإن ضعاف الإيمان من المسلمين ينظرون إليهم نظرة إعجاب دون نظر إلى ما هم عليه من الكفر وما ينتظرهم من سوء المصير، فتبعثهم هذه النظرة الخاطئة إلى تعظيم الكفار واحترامهم

في نفوسهم، والتشبه بهم في أخـلاقهم وعاداتهم السيئة، ولم يقلـدوهم في الجد وإعـداد القـوة والشيء النافـع من المخترعات والصناعات .

(ب) النظرة الثانية للحياة - (النظرة الصحيحة):

هـي أن يعتبر الإنسـان مـا في هـذه الحيـاة مـن مـال وسلطان وقـوى ماديـة وسيلة يستعان بها لعمـل الآخرة، فالدنيا في الحقيقة لا تذم لذاتها، وإنما يتوجه المدح والذم إلى فعل العبد فيهـا، فهي قنطرة ومعبر للآخـرة ومنها زاد الجنـة . وخير عيش ينـالـه أهـل الجنـة إنما حصل لهم بما زرعـوه في الـدنيـا، فهي دار الجهـاد والصـلاة والصيـام والإنفاق في سبيل الله ومضمار التسابق إلى الخيرات . يقول الله تعالى لأهل الجنة: ﴿كلـوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ [الحاقة: ٢٤] يعني الدنيا .

في الرقى والتمائم

١ - الرقى:

جمع رقية وهي العُوْذةُ التي يرقى بها صاحب الآفه كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات، ويسمونها العزائم، وهي على نوعين:

النوع الأول: ما كان خالياً من الشرك بأن يُقْرأ على المريض شيء من القرآن، أو يُعَوَّذ بأسماء الله وصفاته، فهذا مباح، لأن النبي ﷺ قد رقى وأمر بالرقية وأجازها، فعن عوف بن مالك قال: كنا نرقى في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟. فقال: «اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى مالم تكن شركاً»[١]، قال السيوطي: وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن تكون بكلام الله أو بأسماء الله وصفاته. وأن تكون باللسان العربي وما يعرف معناه، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها. بل بتقدير الله تعالى[٢] وكيفيتها أن

(١) رواه مسلم. (٢) فتح المجيد ص١٣٥.

يقــرأ وينفـث على المريـض، أو يقـرأ في مــاء ويسقــاه المريض، كما جاء في حـديث ثابت بــن قيس: (أن النبي ﷺ أخـذ تراباً من بطحان، فجعلـه في قدح، ثـم نفث عليه، وصبه عليه)[1].

النوع الثاني: ما لم يخل مـن الشرك، وهي الرقـى التي يستعـان فيهــا بغير الله من دعـاء غير الله والاستغــاثـة والاستعاذة بـه، كالـرقى بأسماء الجن أو بـأسماء الملائكة والأنبياء والصالحين، فهذا دعاء لغير الله وهو شرك أكبر، أو يكون بغير اللســان العربي أو بما لا يعرف معنـاه، لأنه يخشى أن يدخلها كفر أو شرك ولا يعلم عنه، فهذا النوع من الرقية ممنوع.

التمائم:

وهي جمع تميمة وهي: ما يعلق بأعناق الصبيان لدفع العين، وقد يعلق على الكبار من الرجال والنساء وهو على نوعين:

---

(١) رواه أبو داود.

النوع الأول من التمائم:

ما كان من القرآن - بأن يكتب آيات من القرآن، أو من أسماء الله وصفاته ويعلقها للاستشفاء بها، فهذا النوع قد اختلف العلماء في حكم تعليقه على قولين:

القول الأول: الجواز، وهو قول عبدالله بن عمر بن العاص، وهو ظاهر ما روي عن عائشة، وبه قال أبو جعفر الباقر وأحمد بن حنبل في رواية عنه، وحملوا الحديث الوارد في المنع من تعليق التمائم، على التمائم التي فيها شرك.

القول الثاني: المنع من ذلك وهو قول ابن مسعود وابن عباس وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة بن عامر وابن عكيم، وبه قال جماعة من التابعين منهم أصحاب ابن مسعود وأحمد. وفي رواية اختارها كثير من أصحابه، وجزم بها المتأخرون، واحتجوا بما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الرقى والتمائم والتِّولة شرك)[1].

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم.

التولة : شيء يضعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته .

وهذا هو الصحيح لوجوه ثلاثة :

الأول : عموم النهي ولا مخصص للعموم .

الثاني : سد الذريعة فإنها تفضي إلى تعليق ما ليس مباحاً .

الثالث : أنه إذا علق شيئاً من القرآن ، فلا بد أن يمتهنه المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك[1] .

النوع الثاني من التمائم :

التي تعلق على الأشخاص ما كان من غير القرآن - كالخرز والعظام والودع والخيوط والنعال والمسامير وأسماء الشياطين والجن والطلاسم ، فهذا محرم قطعاً وهو من الشرك ، لأنه تعلق على غير الله سبحانه وأسمائه وصفاته

---

(١) فتح المجيد ص ١٣٦ .

وآياته، وفي الحديث: (من تعلـق شيئاً وكل إليه)[1] أي وكلـه الله إلى ذلك الشيء الذي تعلقـه، فمن تعلق بـالله والتجأ إليه، وفوض أمره إليه كفاه، وقرب إليه كل بعيد، ويسر لـه كـل عسير، ومـن تعلـق بغيره من المخلـوقين والتمائم والأدويـة والقبور وكلـه الله إلى ذلك الذي لا يغني عنـه شيئـاً ولا يملـك لـه ضرّا ولا نفعـاً فخسر عقيـدتـه وانقطعت صلته بربه وخذله الله.

والـواجب على المسلـم المحـافظـة على عقيـدتـه ممـا يفسدها أو يخل بها، فلا يتعاطى ما لا يجوز من الأدوية، ولا يذهب إلى المخرفين والمشعوذين؛ ليتعالج عندهم من الأمراض، لأنهم يمرضون قلبه وعقيدته، ومن توكل على الله كفاه.

وبعض النـاس يعلق هذه الأشيـاء على نفسه، وهـو ليس في مرض حسي، وإنما في مرض وهمي، وهو الخوف

---

(١) رواه أحمد والترمذي.

من العين والحسد، أو يعلقها على سيارته أو دابته أو باب بيته أو دكانـه. وهذا كله من ضعف العقيـدة هو المرض الحقيقي الـذي يجب علاجـه بمعرفـة التوحيـد والعقيدة الصحيحة.

في بيان حكم الحلف بغير الله

والتوسل والاستغاثة بالمخلوق

(١) الحلف بغير الله :

الحلف : هو اليمين – وهي توكيد الحكم بذكر مُعظَّم على وجه الخصوص . والتعظيم : حق لله تعالى فلا يجوز الحلف بغيره، فقد أجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله أو بأسمائه وصفاته، وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره[١] والحلف بغير الله شرك لما روى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[٢] وهو شرك أصغر. إلا إذا كان المحلوف به معظَّماً عند الحالف إلى درجة عبادته له فهذا شرك أكبر. كما هو الحال اليوم عند عُبَّاد القبور، فإنهم يخافون من يعظمون من أصحاب القبور أكثر من خوفهم من الله وتعظيمه، بحيث إذا طلب من أحدهم أن يحلف

(١) حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص ٣٠٣ .
(٢) رواه أحمد والترمذي والحاكم .

بالولي الذي يعظمه لم يحلف به إلا إذا كان صادقاً، وإذا طلب منه أن يحلف بالله حلف به وإن كان كاذباً.

فالحلف تعظيم للمحلوف به لا يليق إلا بالله، ويجب توقير اليمين بالله، فلا يكثر منها - قال تعالى: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾ [القلم: ١٠]، وقال تعالى: ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ [المائدة: ٨٩]، أي لا تحلفوا إلا عند الحاجة وفي حالة الصدق والبر - لأن كثرة الحلف أو الكذب فيها يدلان على الاستخفاف بالله وعدم التعظيم له، وهذا ينافي كمال التوحيد، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» وجاء فيه: «ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه»[1]. فقد شدد الوعيد على كثرة الحلف مما يدل على تحريمه احتراماً لاسم الله تعالى وتعظيماً له سبحانه. وكذلك يحرم الحلف بالله كاذباً وهي

(١) رواه الطبراني بسند صحيح.

الغموس[1] وقد وصف الله المنافقين بأنهم يحلفون على الكذب وهم يعلمون .

فنخلص من ذلك :

١- تحريم الحلف بغير الله تعالى : كالحلف بالأمانة أو الكعبة أو بالنبي ﷺ وأن ذلك شرك .

٢- تحريم الحلف بالله كاذباً متعمداً وهي الغموس .

٣- تحريم كثرة الحلف بالله ولو كان صادقاً إذا لم تدع إليه حاجة ، لأن هذا استخفاف بالله سبحانه .

٤- جواز الحلف بالله إذا كان صادقاً وعند الحاجة .

(ب) التوسل بالمخلوق إلى الله تعالى :

التوسل : وهو التقرب إلى الشيء والتوصل إليه والوسيلة : القربة ، قال الله تعالى : ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ [المائدة : ٣٥] أي : القربة إليه سبحانه بطاعته واتباع مرضاته .

---

(١) هي التي تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار ، وهي التي يحلفها على أمر ماض كاذباً عالماً .

والتوسل قسمان :

القسم الأول : توسل مشروع وهو أنواع :

١- النوع الأول : التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته ، كما أمر تعالى بذلك في قوله : ﴿ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

٢- النوع الثاني : التوسل إلى الله تعالى بالإيمان والأعمال الصالحة : التي قام بها المتوسل ، كما قال تعالى عن أهل الإيمان : ﴿ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار﴾ [آل عمران : ١٩٣] . وكما في حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فسدت عليهم باب الغار، فلم يستطيعوا الخروج ، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم ، ففرج الله عنهم[١] فخرجوا يمشون .

---

(١) هذا مضمون الحديث وهو متفق عليه .

٣- **النوع الثالث**: التوسل إلى الله تعالى بتوحيده، كما توسل يونس عليه السلام: ﴿فنادىٰ في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك﴾ [الأنبياء: ٨٧].

٤- **النوع الرابع**: التوسل إلى الله تعالى بإظهار الضعف والحاجة والافتقار إلى الله، كما قال أيوب عليه السلام: ﴿أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ [الأنبياء: ٨٣].

٥- **النوع الخامس**: التوسل إلى الله بدعاء الصالحين الأحياء، وكما كان الصحابة إذا أجدبوا طلبوا من النبي ﷺ أن يدعو الله لهم، ولما توفي صاروا يطلبون من عمه العباس رضي الله عنه فيدعو لهم[1].

٦- **النوع السادس**: التوسل إلى الله بالاعتراف بالذنب: ﴿قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي﴾ [القصص: ١٦].

---

(١) رواه البخاري.

القسم الثاني: توسل غير مشروع:

وهو التوسـل بطلب الدعاء والشفاعـة من الأموات، والتوسل بجاه النبي ﷺ، والتـوسل بذوات المخلوقين أو حقهم، وتفصيل ذلك كما يلي:

١ - طلب الدعاء من الأموات لايجوز:

لأن الميت لا يقدر على الـدعاء، كما كان يقـدر عليه في الحياة، وطلب الشفاعة من الأموات لا يجوز، لأن عمر ابن الخطاب ومعـاوية بن أبي سفيـان ومن بحضرتهما من الصحـابـة والتابعين لهم بـإحسـان لما أجدبـوا استسقـوا وتوسلوا واستشفعوا بمن كان حيـاً، كالعباس وكيزيد بن الأسود، ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا ولم يستسقوا بالنبي ﷺ لا عند قبره ولا عند غيره، بل عدلـوا إلى البدل كالعباس وكيزيد، وقـد قال عمر: اللهم إنا كنا نتـوسل إليك بنبينا فتسقينا و إنا نتـوسل بعم نبينا فاسقنا، فجعلـوا هذا بدلاً من ذلك لما تعذر أن يتوسلوا بـه على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه .

وقد كان من الممكن أن يأتوا إلى قبره فيتوسلوا به يعني[1] لو كان جائزاً. فتركهم لذلك دليل على عدم جواز التوسل بالأموات، لا بدعائهم ولا بشفاعتهم، فلو كان طلب الدعاء منه والاستشفاع به حياً وميتاً، سواء لم يعدلوا عنه إلى غيره ممن هو دونه.

٢- التوسل بجاه النبي ﷺ أو بجاه غيره لا يجوز:

والحديث الذي فيه: (إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي. فإن جاهي عند الله عظيم) حديث مكذوب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها. ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث[2] وما دام لم يصح فيه دليل فهو لا يجوز، لأن العبادات لا تثبت إلا بدليل صحيح صريح.

٣- التوسل بذوات المخلوقين لا يجوز:

لأنه إن كان الباء للقسم فهو إقسام به على الله تعالى،

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٣١٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣١٩).

وإذا كان الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز وهو شرك كما في الحديث، فكيف بالإقسام بالمخلوق على الخالق جلّ وعلا. وإن كانت الباء للسببية، فالله سبحانه لم يجعل السؤال بالمخلوق سبباً للإجابة، ولم يشرعه لعباده.

٤- والتوسل بحق المخلوق لا يجوز لأمرين:

الأول: أن الله سبحانه لا يجب عليه حق لأحد، وإنما هو الذي يتفضل سبحانه على المخلوق بذلك، كما قال تعالى: ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ [الروم: ٤٧]. فكون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق فضل وإنعام، وليس هو استحقاق مقابلة، كما يستحق المخلوق على المخلوق.

الثاني: أن هذا الحق الذي تفضل الله به على عبده هو حق خاص به لا علاقة لغيره به، فإذا توسل به غير مستحقه كان متوسلاً بأمر أجنبي لا علاقة له به، وهذا لا يجديه شيئاً.

وأما الحديث الذي فيه: (أسألك بحق السائلين) فهو حديث لم يثبت، لأن في إسناده عطية العوفي وهو ضعيف مجمع على ضعفه، كما قال بعض المحدثين. وما كان كذلك فإنه لا يحتج به في هذه المسألة المهمة من أمور العقيدة، ثم إنه ليس فيه توسل بحق شخص معين، وإنما فيه التوسل بحق السائلين عموماً وحق السائلين الإجابة كما وعدهم الله بذلك، وهو حق أوجبه على نفسه لهم لم يوجبه عليه أحد، فهو توسل بوعده الصادق لا بحق المخلوق.

(ج) حكم الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق:

الاستعانة: طلب العون والمؤازرة في الأمر.

والاستغاثة: طلب الغوث وهو إزالة الشدة.

فالاستعانة والاستغاثة بالمخلوق على نوعين:

النوع الأول: الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه، وهذا جائز. قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ [القصص: ١٥].

النوع الثاني: الاستغاثة والاستعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله: كالاستعانة بالأموات، والاستغاثة بالأحياء، والاستعانة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله من شفاء المرضى وتفريج الكربات ودفع الضر - فهذا النوع غير جائز، وهو شرك أكبر - وقد كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله»(١) كره ﷺ أن يستعمل هذا اللفظ في حقه. وإن كان مما يقدر عليه في حياته حماية لجناب التوحيد وسدّا لذرائع الشرك، وأدباً وتواضعاً لربه، وتحذيراً للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال. فإذا كان هذا فيما يقدر عليه النبي ﷺ في حياته، فكيف يستغاث به بعد مماته، ويطلب منه أمور لا يقدر عليها إلا الله(٢) وإذا كان هذا لا يجوز في حقه ﷺ فغيره من باب أولى.

---

(١) رواه الطبراني - ضعيف.

(٢) فتح المجيد ص ١٩٦ - ١٩٧.

الباب الثالث

في بيان ما يجب اعتقاده في الرسول ﷺ وأهل بيته وصحابته

وذلك في فصول :

الفصل الأول : في وجوب محبة الرسول وتعظيمه ، والنهي عن الغلو والإطراء في مدحه ، وبيان منزلته ﷺ .

الفصل الثاني : في وجوب طاعته والاقتداء به .

الفصل الثالث : في مشروعية الصلاة والسلام عليه .

الفصل الرابع : في فضل أهل البيت وما يجب لهم من غير جفاء ولا غلو.

الفصل الخامس : في فضل الصحابة وما يجب اعتقاده فيهم . ومذهب أهل السنة والجماعة فيما حدث بينهم .

الفصل السادس : في النهي عن سب الصحابة وأئمة الهدى .

في وجوب محبة الرسول وتعظيمه والنهي عن الغلو والإطراء في مدحه وبيان منزلته ﷺ

١- وجوب محبته وتعظيمه ﷺ:

يجب على العبد أولاً محبة الله عز وجل وهي من أعظم أنواع العبادة - قال تعالى: ﴿والـذين آمنوا أشد حباً لله﴾ [البقرة: ١٦٥]، لأنه هو الرب المتفضل على عباده بجميع النعم ظاهرها وباطنها، ثم بعد محبة الله تعالى محبة رسوله محمد ﷺ، لأنـه هو الذي دعا إلى الله، وعـرَّف به، وبلَّغ شريعته، وبيَّن أحكامه، فما حصل للمؤمنين من خير في الدنيا والآخرة فعلى يد هذا الرسول، ولا يدخل أحد الجنة إلا بطاعتـه واتباعـه ﷺ، وفي الحديث: «ثـلاث من كن فيه وجـد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسولـه أحب إليه مما سـواهما، وأن يحب المرء لا يحبـه إلا لله، وأن يكـره أن يعود في الكفـر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكـره أن يقذف في النار» (١).

---

(١) متفق عليه.

فمحبة الرسول تابعة لمحبة الله تعالى لازمة لها وتليها في المرتبة، وقد جاء بخصوص محبته ﷺ ووجوب تقديمها على محبة كل محبوب سوى الله تعالى قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»(١).

بل ورد أنه يجب على المؤمن أن يكون الرسول ﷺ أحب إليه من نفسه، كما في الحديث: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يارسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي. فقال: «والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال له عمر: فإنك الآن أحب إليَّ من نفسي، فقال: «الآن ياعمر» (٢).

ففي هذا أن محبة الرسول ﷺ واجبة ومقدمة على محبة كل شيء سوى محبة الله، فإنها تابعة لها لازمة لها، لأنها محبة في الله ولأجله، تزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن وتنقص بنقصها، وكل من كان محبّا لله فإنما يحب في الله

(١) متفق عليه. (٢) رواه البخاري.

ولأجلـه . ومحبتـه ﷺ تقتضي تعظيمـه وتــوقيره واتبـاعـه وتقديم قوله على قول كل أحد من الخلق وتعظيم سنته .

قال العـلامة ابـن القيم رحمه الله : وكل محبـة وتعظيم للبشر فإنها تجوز تبعـاً لمحبة الله وتعظيمه ، كمحبـة رسول الله ﷺ وتعظيمـه فانها من تمام محبة مرسلـه وتعظيمه ، فإن أمته يحبـونه لمحبة الله لـه ويعظمونه ويجلونـه لإجلال الله له ، فهي محبة من موجبات محبة الله .

والمقصـود أن النبـي ﷺ ألقى الله عليـه مـن المهـابـة والمحبــة . ولهذا لم يكن بشر أحــب إلى بشر ولا أهيـب وأجـل في صـدره من رسـول الله ﷺ في صدور أصحـابه رضي الله عنهم . قال عمرو بن العاص بعـد إسلامه : إنه لم يكـن شخص أبغـض إليَّ منــه . فلما أسلمتْ لم يكـن شخص أحب إليه منه ، ولا أجل في عينه منه ، قال : ولو سئلت أن أصفـه لكم لما أطقت ، لأني لم أكن أمـلأ عيني منه إجلالاً له [1] .

---

(١) متفق عليه .

وقال عروة بن مسعود لقريش : ياقوم والله لقد وفدت إلى كسرى وقيصر والملوك فما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً ﷺ ، والله ما يحدون النظر إليه تعظيماً له ، وما تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فيدلك بها وجهه وصدره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه . انتهى[١].

٢- النهي عن الغلو والإطراء في مدحه :

الغلو: تجاوز الحد - يقال : غلا غلواً ، إذا تجاوز الحد في القدر ، قال تعالى : ﴿لا تغلوا في دينكم﴾ [النساء : ١٧١] أي تجاوزوا الحد .

والإطراء : مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه - والمراد بالغلو في حق النبي ﷺ : مجاوزة الحد في قدره بأن يرفع عن مرتبة العبودية والرسالة ويجعل له شيء من خصائص الإلهية ، بأن يدعى ويستغاث به من دون الله ويحلف به .

---

(١) متفق عليه .

والمراد بالإطراء في حقه ﷺ: أن يـزاد في مدحه - فقد نهى ﷺ عن ذلك بقوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم - إنما أنا عبد، فقولوا: عبدالله ورسوله»[1] أي لا تمدحوني بالباطل ولا تجاوزوا الحد في مدحي كما غلت النصارى في عيسى عليه السلام، فادعوا فيه الألوهية، وصفوني بما وصفني به ربي، فقولوا: عبدالله ورسوله. ولما قال له بعض أصحابه: أنت سيدنا: فقال: «السيد الله تبارك وتعالى» ولما قالوا: وأفضلنا وأعظمنا طولاً، فقال: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان»[2].

وقال له ناس: يارسول الله، ياخيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبدالله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عزّ وجلّ[3].

---

(١) جلاء الافهام ١٢٠ ـ ١٢١. (٢) رواه أبو داود بسند صحيح
(٣) رواه أحمد والنسائي.

كـره ﷺ أن يمدحـوه بهذه الألفاظ : أنــت سيدنـا - أنت خيرنا - أنت أفضلنا - أنت أعظمنا، مع أنه أفضل الخلق وأشرفهـم على الإطـلاق - لكنـه نهاهم عــن ذلك ابتعاداً بهم عن الغلـو والإطراء في حقه وحماية للتـوحيد، وأرشــدهـم أن يصفـوه بصفتين هما أعلى مـراتب العبـد، وليس فيهما غلـو ولا خطـر على العقيدة، وهما : عبـدالله ورسوله، ولم يحب أن يرفعوه فوق ما أنزله الله عزّ وجلّ من المنـزلة التـي رضيها لـه، وقـد خـالف نهيـه ﷺ كثير من النـاس، فصـاروا يدعـونـه ويستغيثـون به ويحلفـون بـه ويطلبون منـه ما لا يطلب إلا من الله كما يفعـل في الموالد والقصـائد والأنـاشيـــد، ولا يميـزون بين حق الله وحــق الرسول .

يقول العلامة ابن القيم في النونية :

لله حـق لا يكون لغـــــيره ... ولعبـده حق هما حقان

لا تجعلوا الحقين حقاً واحداً ... مـن غير تمييز ولا فربان

٣- بيان منزلته ﷺ :

لا بأس ببيان منزلته بمدحه ﷺ بما مدحه الله به وذكر منزلتـه التي فضله الله بها واعتقـاد ذلك . فله ﷺ المنـزلة العاليـة التي أنزله الله فيهـا ، فهو عبدالله ورسولـه وخيرته من خلقه . وأفضل الخلق على الإطـلاق . وهو رسول الله إلى الناس كـافة ، وإلى جميع الثقلين الجن والإنـس . وهو أفضل الرسل ، وخاتـم النبيين لا نبي بعده ، قد شرح الله له صدره ، ورفع له ذكره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمـره ، وهو صاحب المقام المحمـود الذي قال الله تعـالى فيـه : ﴿عسى أن يبعثـك ربك مقـامـا محمـودا﴾ [الإسراء: ٧٩] ، أي المقام الـذي يقيمه الله فيـه للشفاعـة للناس يـوم القيامة ليريحهم ربهم من شـدة الموقف ، وهو مقـام خاص بـه ﷺ دون غيره من النبيين ، وهـو أخشى الخلق لله وأتقاهم له ، وقد نهى عن رفع الصوت بحضرته ﷺ وأثنى على الـذيـن يغضـون أصـواتهم عنـده ، فقـال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت

النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون * إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم * إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم﴾ [الحجرات: ٢-٥].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: هذه آيات أدَّب الله فيها عباده المؤمنين فيما يعاملون به النبي ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام. أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته، ونهى سبحانه وتعالى أن يدعى الرسول باسمه كما يدعى سائر الناس فيقال: يامحمد. وإنما يدعى بالرسالة والنبوة فيقال: يارسول الله، يانبي الله، قال تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾ [النور: ٦٣]، كما أن الله سبحانه يناديه ياأيها النبي، ياأيها الرسول. وقد صلى الله

وملائكته عليه، وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه فقال تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ [الأحزاب: ٥٦]، لكن لا نخصص لمدحه ﷺ وقت ولا كيفية معينة إلا بدليل صحيح من الكتاب والسنة. فما يفعله أصحاب الموالد من تخصيص اليوم الذي يزعمون أنه يوم مولده لمدحه بدعة منكرة.

ومن تعظيمه ﷺ تعظيم سنته واعتقاد وجوب العمل بها، وأنها في المنزلة الثانية بعد القرآن الكريم في وجوب التعظيم والعمل. لأنها وحي من الله تعالى. كما قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم: ٣-٤]، فلا يجوز التشكيك فيها والتقليل من شأنها - أو الكلام فيها بتصحيح أو تضعيف لطرقها وأسانيدها أو شرح لمعانيها إلا بعلم وتحفظ، وقد كثر في هذا الزمان تطاول الجهال على سنة الرسول ﷺ خصوصا من بعض الشباب الناشئين الذين لا يزالون في المراحل

الأولى من التعليم، وصاروا يصححون ويضعفون في الأحاديث ويجرحون في الرواة بغير علم سوى قراءة الكتب وهذا خطر عظيم عليهم وعلى الأمة، فيجب عليهم أن يتقوا الله، ويقفوا عند حدهم.

في وجوب طاعته ﷺ والاقتداء به

تجب طاعة النبي ﷺ بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، وهذا من مقتضى شهادة أنه رسول الله، وقد أمر الله تعالى بطاعته في آيات كثيرة تارة مقرونة مع طاعة الله كما في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ [النساء: ٥٩]، وأمثالها من الآيات، وتارة يأمر بها مفردة، كما في قوله: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾ [النور: ٥٦]. وتارة يتوعد من عصى رسوله ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [النور: ٦٣].

أي تصيبهم فتنة في قلوبهم من كفـر أو نفاق أو بدعة أو عـذاب أليم في الـدنيـا بقتل أو حَـدٍّ أو حبس أو غير ذلك مـن العقوبـات العـاجلـة، وقد جعـل الله طاعتـه واتبـاعه سببـاً لنيل محبة الله للعبـد ومغفرة ذنـوبه - قـال تعـالى: ﴿قـل إن كنتم تحبـون الله فـاتبعـوني يحببكـم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [آل عمـران: ٣١]، وجعل طاعته هـداية ومعصيتـه ضـلالاً - قـال تعالى: ﴿وإن تطيعـوه تهتدوا﴾ [النور: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهـم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هـدى مـن الله إن الله لا يهـدي القـوم الظـالمين﴾ [القصـص: ٥٠].

وأخبر سبحانـه وتعالى أن فيـه القدوة الحسنـة لأمته، فقال تعـالى: ﴿لقـد كان لكم في رسول الله أسـوة حسنة لمن كـان يـرجـو الله واليـوم الآخـر وذكـر الله كثـيراً﴾ [الأحـزاب: ٢١].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عزّ وجلّ صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.

وقد كرر الله طاعة الرسول واتباعه في نحو أربعين موضعاً من القرآن، فالنفوس أحوج إلى معرفة ما جاء به واتباعه منها إلى الطعام والشراب، فإن الطعام والشراب إذا فات الحصول عليهما حصل الموت في الدنيا، وطاعة الرسول واتباعه إذا فاتا حصل العذاب والشقاء الدائم، وقد أمر ﷺ بالاقتداء به في أداء العبادات، وأن تؤدى على الكيفية التي كان يؤديها بها، فقال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[1]، وقال: «خذوا عني مناسككم»[2]، وقال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[3].

---

(١) رواه البخاري. (٢) الحديث رواه مسلم. (٣) متفق عليه.

وقال: «من رغب عن سنتي فليس مني»[1] إلى غير ذلك من النصوص التي فيها الأمر بالاقتداء به والنهي عن مخالفته.

في مشروعية الصلاة والسلام على الرسول ﷺ

من حقه الذي شرع الله له على أمته أن يصلوا ويسلموا عليه فقد قال الله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وقد ورد أن معنى: صلاة الله تعالى - ثناؤه عليه عند الملائكة. وصلاة الملائكة الدعاء. وصلاة الآدميين الاستغفار[2] وقد أخبر الله سبحانه في هذه الآية عن منزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجمع الثناء عليه من أهل العالم العلوي والسفلي.

(١) متفق عليه.
(٢) ذكره البخاري عن أبي العالية.

ومعنى (سلموا تسليما) أي حيوه بتحية الإسلام - فإذا صلى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم، فلا يقتصر على أحدهما، فلا يقول: صلى الله عليه. فقط، ولا يقول: عليه السلام. فقط، لأن الله تعالى أمر بهما جميعاً.

وتشرع الصلاة عليه ﷺ في مواطن يتأكد طلبها فيها: إما وجوباً، وإما استحباباً مؤكداً. وذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه «جلاء الإفهام» واحداً وأربعين موطناً - بدأها بقوله الموطن الأول: وهو أهمها وآكدها في الصلاة في آخر التشهد - وقد أجمع المسلمون على مشروعيته واختلفوا في وجوبه فيها[1] ثم ذكر من المواطن آخر القنوت وفي الخطب كخطبة الجمعة والعيدين والاستسقاء، وبعد إجابة المؤذن، وعند الدعاء، وعند دخول المسجد والخروج منه، وعند ذكره ﷺ ثم ذكر رحمه الله الثمرات الحاصلة من الصلاة على النبي ﷺ فذكر فيها أربعين فائدة[2].

(١) جلاء الافهام ٢٢٢ ـ ٢٢٣.
(٢) جلاء الافهام ٣٠٢.

منها : امتثال أمر الله سبحانه بذلك . ومنها : حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة، ومنهـا رجاء إجابة الدعاء إذا قدمها أمامه . ومنها أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قـرنها بسؤال الـوسيلـة له ﷺ، ومنهـا أنها سبب لغفـران الـذنـوب، ومنهـا أنها سبب لـرد النبـي ﷺ على المصلي والمسلِّم عليـه، فصلـوات الله وسـلامـه على هـذا النبـي الكريم .

في فضل أهل البيت وما يجب لهم
من غير جفاء ولا غلو

أهل البيت هم آل النبي ﷺ الذين حرمت عليهم الصدقة وهم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وبنو الحارث بن عبدالمطلب وأزواج النبي ﷺ وبناته، لقوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال بعد هذا كله: ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ [الأحزاب: ٣٤]، أي واعلمن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة، قال قتادة وغير واحد، واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين الناس،

وأن الوحـي ينزل في بيوتكن دون سـائر الناس، وعـائشة الصـديقـة بنـت الصـديق رضي الله عنهـا أَوْلاهُـنَّ بهذه النعمة وأَخَصُّهُـنَّ من هذه الـرحمة العميمة، فإنـه لم ينزل على رسول الله ﷺ الوحي في فراش امرأة سواها، كما نص على ذلـك صلـوات الله وسـلامـه عليـه، وقـال بعـض العلماء: لأنه لم يتزوج بكراً سـواها، ولم ينم معها رجل في فـراشها سـواه ﷺ (يريـد أنها لم تتزوج غيره) فنـاسب أن تخصص بهذه المزية، وأن تفرد بهذه المرتبـة العلية، ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته فقرابته أحق بهذه التسمية - انتهى من تفسير ابن كثير.

فأهل السنـة والجماعة يحبون أهل بيـت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصيـة رسول الله ﷺ حيث قال يـوم غـدير خـم (اسم مـوضع): «أذكـركـم الله في أهل بيتي»[1] فأهل السنة يحبونهم ويكـرمونهم، لأن ذلك من محبة النبـي ﷺ وإكرامـه، وذلك شرط أن يكونـوا متبعين

---

(١) رواه مسلم.

للسنة مستقيمين على الملة. كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وبنيه، أما من خالف السنة ولم يستقم على الدين فإنه لا يجوز موالاته ولو كان من أهل البيت.

فموقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت موقف الاعتدال والإنصاف، يتولون أهل الدين والاستقامة منهم. ويتبرءون ممن خالف السنة وانحرف عن الدين ولو كان من أهل البيت، فإن كونه من أهل البيت ومن قرابة الرسول لا تنفعه شيئاً حتى يستقيم على دين الله، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فقال (يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله

شيئاً)[1] والحديث: من بطأ به عملـه لم يسرع به نسبه)[2] ويتبرأ أهل السنة والجماعة من طريقـة الروافض الذين يغلون في بعض أهـل البيت ويَـدَّعون لهم العصمـة، ومـن طريقـة النـواصب الـذين ينصبـون العـدواة لأهـل البيت المستقيمين ويطعنون فيهم ومن طريقة المبتدعة والخرافيين الذين يتوسلون بأهل البيت ويتخذونهم أرباباً من دون الله.

فأهـل السنة في هـذا الباب وغيره على النهج المعتـدل والصراط المستقيم الـذي لا إفـراط فيـه ولا تفـريط، ولا جفاء ولا غلـو في حق أهل البيت وغيرهـم، وأهل البيت المستقيمون ينكرون الغلو فيهـم ويتبرأون من الغلاة، فقد حرّق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الغلاة الذين غلوا فيه بالنـار. وأقره ابن عباس رضي الله عنه على قتلهم، لكـن يرى قتلهم بـالسيف بـدلاً من التحـريق، وطلـب علي رضي الله عنـه عبـدالله بن سبـأ رأس الغـلاة ليقتله لكنه هرب واختفى.

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.

في فضل الصحابة وما يجب اعتقاده فيهم ومذهب أهل السنة والجماعة فيما حدث بينهم

ما المراد بالصحابة، وما الذي يجب اعتقاده فيهم؟

الصحابة جمع صحابي: وهو من لقيَ النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك، والذي يجب اعتقاده فيهم أنهم أفضل الأمة وخير القرون لسبقهم واختصاصهم بصحبة النبي ﷺ والجهاد معه وتحمل الشريعة عنه وتبليغها لمن بعدهم، وقد أثنى الله عليهم في محكم كتابه، قال تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه

يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر: ٨-٩].

ففي هذه الآيات أن الله سبحانه أثنى على المهاجرين والأنصار، ووصفهم بالسبق إلى الخيرات، وأخبر أنه قد رضي عنهم، وأعد لهم الجنات، ووصفهم بالتراحم فيما بينهم والشدة على الكفار، ووصفهم بكثرة الركوع والسجود وصلاح القلوب، وأنهم يعرفون بسيما الطاعة والإيمان، وأن الله اختارهم لصحبة نبيه ليغيظ بهم أعداءه الكفار، كما وصف المهاجرين بترك

أوطانهم وأموالهم من أجل الله ونصرة دينه وابتغاء فضله ورضوانه، وأنهم صادقون في ذلك. ووصف الأنصار بأنهم أهل دار الهجرة والنصرة والإيمان الصادق ووصفهم بمحبة إخوانهم المهاجرين وإيثارهم على أنفسهم ومواساتهم لهم وسلامتهم من الشح، وبذلك حازوا على الفلاح. هذه بعض فضائلهم العامة، وهناك فضائل خاصة ومراتب يفضل بها بعضهم بعضاً. رضي الله عنهم وذلك بحسب سبقهم إلى الإسلام والجهاد والهجرة.

فأفضل الصحابة الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة- وهم هؤلاء الأربعة وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد، ويَفْضُلُ المهاجرون على الأنصار، وأهل بدر وأهل الرضوان، ويَفْضُل من أسلم قبل الفتح وقاتل على من أسلم بعد الفتح.

٢- مذهب أهل السنة والجماعة فيما حدث بين الصحابة من القتال والفتنة :

سبب الفتنة : تآمر اليهودُ على الإسلام وأهله فدسوا ماكراً خبيثاً تظاهر بالإسلام كذباً وزوراً هو عبدالله بن سبأ من يهود اليمن ، فأخذ هذا اليهودي ينفث حقده وسمومه ضد الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين : عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، ويختلق التهُم ضده . فالتف حوله من انخدع به من قاصري النظر وضعاف الإيمان ومحبي الفتنة ، وانتهت المؤامرة بقتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه مظلوماً ، وعلى أثر مقتله حصل الاختلاف بين المسلمين وشبت الفتنة بتحريض من اليهودي وأتباعه وحصل القتال بين الصحابة عن اجتهاد منهم .

قال شارح الطحاوية : إن أصل الرفض إنما يحدثه منافق زنديق ، قصده إبطال دين الإسلام والقدح في الرسول ﷺ كما ذكر ذلك العلماء ، فإن عبدالله بن سبأ لما أظهر الإسلام أراد أن يفسد دين الإسلام بمكره وخبثه ، كما

فعل بولس بدين النصرانية، فأظهر التنسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى سعى في فتنة عثمان وقتله، ثم لما قدم على الكوفة أظهر الغلو في علي والنصر له ليتمكن بذلك من أغراضه، وبلغ ذلك عليّا فطلب قتله فهرب منه إلى قرقيس، وخبره معروف في التاريخ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فلما قتل عثمان رضي الله عنه تفرقت القلوب وعظمت الكروب، وظهرت الأشرار وذل الأخيار، وسعى في الفتنة من كان عاجزاً عنها، وعجز عن الخير والصلاح من كان يحب إقامته، فبايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أحق الناس بالخلافة حينئذ وأفضل من بقي، لكن كانت القلوب متفرقة، ونار الفتنة متوقدة، فلم تتفق الكلمة، ولم تنتظم الجماعة، ولم يتمكن الخليفة وخيار الأمة من كل ما يريدونه من الخير ودخل في الفرقة والفتنة أقوام، وكان ما كان[1].

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣٠٤ـ٣٠٥).

وقال أيضاً مبيناً عـذر المتقاتلين من الصحـابة في قتال علي ومعاويـة : ومعاوية لم يـدع الخلافة ولم يبايـع له بها حين قاتل علياً ولم يقاتل على أنـه خليفة ولا أنه يستحـق الخلافة ، ويقرون لـه بذلـك ، وقد كان معـاوية يقـر بذلك لمن سـأله عنـه : ولا كـان معـاويـة وأصحابـه يـرون أن يبتـدءوا عليـا وأصحـابـه بالقتـال ولا يعلـو. بل لما رأى علي رضي الله عنـه أصحـابـه أنـه يجب عليهـم طـاعتـه ومبـايعتـه إذ لا يكـون للمسلمين إلا خليفـة واحـد . وأنهم خـارجـون عن طـاعتـه يمتنعون عن هذا الواجب وهـم أهل شوكة ، رأى أن يقاتلهم حتى يؤدوا هـذا الواجب فتحصل الطاعـة والجماعـة ، وهـم (أي معاوية ومن معه) قالوا : إن ذلك لا يجب عليهم ، وأنهم إذا قوتلـوا على ذلك كانـوا مظلومين ، قالـوا : لأن عثمان قتل مظلوماً باتفاق المسلمين ، وقتلتـه في عسكر علي وهـم غالبون لهم شوكة ، فإذا بايعنا ظلمونا واعتـدوا علينا . وعلي لا يمكنه دفعهـم كما لم يمكنـه الدفع عن عثمان ، وإنما علينـا أن نبايع خليفة يقدر على أن ينصفنا ويبذل لنا الإنصاف .

ومـذهب أهـل السنة والجماعـة في الاختـلاف الـذي حصـل والفتنـة التـي وقعت مـن جـرائهـا الحروب بين الصحابة يتلخص في أمرين :

الأمر الأول : أنهم يمسكون عن الكلام فيما حصل بين الصحابة ، ويكفون عن البحث فيه ، لأن طريق السلامة هو السكـوت عن مثل هذا ، ويقـولون : ﴿ربنا اغفـر لنا ولإخواننا الـذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلـوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم﴾ [الحشر: ١٠] .

الأمر الثاني : الإجابـة عن الآثـار المروية في مسـاوئهم وذلك من وجوه :

الوجه الأول : أن هـذه الآثار منهـا ما هـو كذب قـد افتراه أعداؤهم ليشوهوا سمعتهم .

الوجه الثاني : أن هذه الآثـار منها ما قـد زيد ونقص فيه وغُيــِّـرَ عـن وجهه الصحيح ودخلـه الكذب ، فهـو محرف لا يلتفت إليه .

الوجه الثالث : أن مـا صح مـن هذه الآثـار - وهـو

القليل، هم فيه معذورون، لأنهم إما مجتهدون مصيبون. وإما مجتهدون مخطئون - فهو من موارد الاجتهاد الذي إن أصاب المجتهد فيه فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد والخطأ مغفور. لما في الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد»(١).

الوجه الرابع: أنهم بشر يجوز على أفرادهم الخطأ، فهم ليسوا معصومين من الذنوب بالنسبة للأفراد - لكن ما يقع منهم فله مكفرات عديدة منها:

١- أن يكون قد تاب منه - والتوبة تمحو السيئة مهما كانت. كما جاءت به الأدلة.

٢- أن لهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم - إن صدر، قال تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود: ١١٤].

---

(١) في الصحيحين من عمرو بن العاص رضي الله عنه.

٣- أنهم تضاعف لهم الحسنات أكثر من غيرهم ولا يساويهم أحد في الفضل، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون، وأن المد من أحدهم إذا تصدق به أفضل من جبل أحد ذهباً إذا تصدق به غيرهم[١] رضي الله عنهم وأرضاهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وسائر أهل السنة والجماعة وأئمة الدين لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة ولا القرابة ولا السابقين ولا غيرهم، بل يجوز عندهم وقوع الذنوب منهم، والله تعالى يغفر لهم بالتوبة ويرفع لهم درجاتهم ويغفر لهم بحسنات ماحية أو بغير ذلك من الأسباب، قال تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون * لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين * ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ [الزمر: ٣٣-٣٥]، وقال تعالى: ﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ

---

(١) في الحديث المتفق عليه.

أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين * أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة﴾ [الأحقاف: ١٥-١٦]، انتهى[١].

وقد اتخذ أعداء الله ما وقع بين الصحابة وقت الفتنة من الاختلاف والاقتتال سبباً للوقيعة بهم والنيل من كرامتهم، وقد جرى على هذا المخطط الخبيث بعض الكتاب المعاصرين الذين يهرفون بما لا يعرفون فجعلوا أنفسهم حكماً بين أصحاب رسول الله ﷺ يُصَوِّبون بعضهم ويخطئون بعضهم بلا دليل، بل بالجهل واتباع الهوى وترديد ما يقوله المغرضون والحاقدون من المستشرقين وأذنابهم - حتى شككوا بعض ناشئة المسلمين ممن ثقافتهم ضحلة بتاريخ أمتهم المجيدة، وسلفهم الصالح الذين هم خير القرون، لينفذوا بالتالي إلى الطعن في

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٥/ ٦٩).

الإسلام وتفريق كلمة المسلمين، وإلقاء البغض في قلوب آخر هذه الأمة لأولها بدلاً من الاقتداء بالسلف الصالح والعمل بقوله تعالى: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم﴾ [الحشر: ١٠].

في النهي عن سب الصحابة وأئمة الهدى

١ - النهي عن سب الصحابة :

من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله بذلك في قوله تعالى: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم﴾ [الحشر: ١٠]، وطاعة لرسول الله ﷺ في قوله: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[١].

ويتبرءون من طريقة الرافضة والخوارج الذين يسبون الصحابة رضي الله عنهم ويبغضونهم ويجحدون فضائلهم ويكفرون أكثرهم. وأهل السنة يقبلون ما جاء في الكتاب والسنة من فضائلهم ويعتقدون أنهم خير القرون كما قال النبي ﷺ: «خيركم قرني» الحديث[٢]. ولما ذكر ﷺ

---

(١) في الحديث المتفق عليه.

(٢) الحديث في الصحيحين.

افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة وأنها في النار إلا واحدة، وسألوه عن تلك الواحدة قال: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»(١).

قال أبو زرعة وهو أجلّ شيوخ الإمام مسلم: إذا رأيت الرجل ينتقص امرءاً من الصحابة فاعلم أنه زنديق، وذلك أن القرآن حق، والرسول حق وما جاء به حق، وما أدى إلينا ذلك كله إلا الصحابة. فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة. فيكون الجرح به أليق والحكم عليه بالزندقه والضلال أقوم وأحق - قال العلامة ابن حمدان في نهاية المبتدئين: من سب أحداً من الصحابة مستحلاً كفر، وإن لم يستحل فسق، وعنه يكفر مطلقاً، ومن فسقهم أو طعن في دينهم أو كفرهم كفر(٢).

٢- النهي عن سب أئمة الهدى من علماء هذه الأمة:

يلي الصحابة في الفضيلة والكرامة والمنزلة أئمة الهدى

---

(١) رواه الإمام أحمد وغيره.

(٢) شرح عقيدة الفاريني (٢/ ٣٨٨ — ٣٨٩).

من التابعين وأتباعهم من القرون المفضلة ومن جاء بعدهم ممن تبع الصحابة بإحسان كما قال تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [التوبة: ١٠٠]، فلا يجوز تنقصهم وسبهم، لأنهم أعلام هدى، فقد قال تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ [النساء: ١١٥].

قال شارح الطحاوية: (فيجب على كل مسلم بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين، كما نطق به القرآن خصوصاً الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، فإنهم خلفاء الرسول في أمته، والمحيون لما مات من سنته فبهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وكلهم متفقون اتفاقاً يقيناً على وجوب اتباع الرسول ﷺ، ولكن

إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له في تركه من عذر).

وجماع الأعذار ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله.

الثاني: اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول.

الثالث: اعتقاده أن الحكم منسوخ.

لهم الفضل علينا، والمنة بالسبق وتبليغ ما أرسل به الرسول ﷺ إلينا، وإيضاح ما كان منه يخفى علينا، فرضي الله عنهم وأرضاهم ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم﴾ [الحشر: ١٠].

والحط من قدر العلماء بسبب وقوع الخطأ الاجتهادي من بعضهم هو من طريقة المبتدعة، ومن مخططات أعداء الأمة للتشكيك في دين الإسلام ولإيقاع العداوة بين المسلمين، ولأجل فصل خلف الأمة عن سلفها، وبث

الفرقـة بين الشباب والعلماء كما هـو الواقـع الآن، فلينتبه لـذلك بعض الطلبـة المبتـدئين الـذين يحطـون من قـدر الفقهاء ومـن قدر الفقه الإسـلامي ويزهـدون في دراسته والانتفـاع بما فيـه من حـق وصـواب - فليعتـزوا بفقههم وليحترموا علماءهـم، ولا ينخدعوا بـالدعايـات المضللة والمغرضة والله الموفق.

الباب الرابع

البــدع

ويتضمن الفصول التالية :

الفصـــل الأول : تعريف البدعة - أنواعها - أحكامها .

الفصـل الثـاني : ظهـــور البـــدع في حيـــاة المسلمين . والأسباب التي أدت إليها .

الفصل الثالث : موقـف الأمة الإسلاميـة من المبتـدعة ، ومنهـج أهل السنـة والجماعـــة في الـرد عليهم .

الفصـــل الرابع : في الكلام على نماذج من البدع المعاصرة وهي :

١ - الاحتفال بالمولد النبوي .

٢- التبرك بالأماكـن والآثار والأموات ونحو ذلك .

٣- البدع في مجال العبـادات والتقرب إلى الله .

تعريف البدعة - أنواعها وأحكامها

١ - تعريفها - البدعة في اللغة :

مأخوذة من البَدْع وهو الاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى : ﴿بديع السموات والأرض﴾ [البقرة: ١١٧]، أي مخترعهما على غير مثال سابق، قوله تعالى : ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل﴾ [الأحقاف: ٩]، أي ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد، بل تقدمني كثير من الرسل ويقال : ابتدع فلان بدعة يعني ابتدأ طريقة لم يسبق اليها.

والابتداع على قسمين :

١ - **ابتداع في العادات** : كابتداع المخترعات الحديثة، وهذا مباح لأن الأصل في العادات الإباحة.

٢- وابتداع في الدين، وهذا محرم، لأن الأصل فيه التوقف، قال ﷺ : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[1].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[1].

٢- أنواع البدع - البدعة في الدين نوعان:

النوع الأول: بدعة قولية اعتقادية: كمقالات الجهمية والمعتزلة والرافضة وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم.

النوع الثاني: بدعة في العبادات: كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها وهي أقسام:

القسم الأول: ما يكون في أصل العبادة: بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع. كأن يحدث صلاة غير مشروعة أو صياماً غير مشروع أصلاً أو أعياداً غير مشروعة كأعياد الموالد وغيرها.

القسم الثاني: ما يكون من الزيادة في العبادة المشروعة، كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً.

---

(١) متفق عليه.

القسم الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة المشروعة بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة، وكالتشديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج عن سنة الرسول ﷺ.

القسم الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع كتخصيص يوم النصف من شعبان وليله بصيام وقيام، فإن أصل الصيام والقيام مشروع ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل.

٣- حكم البدعة في الدين بجميع أنواعها:

كل بدعة في الدين فهي محرمة وضلالة، لقوله ﷺ: «وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[١]. وقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[٢]، وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[٣]. فدل الحديثان على أن كل محدث في

---

(١) رواه ابو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) متفق عليه. (٣) رواه مسلم.

الدين فهو بدعة. وكل بدعة ضلالة مردودة، ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة، فمنها ما هو كفر صراح، كالطواف بالقبور تقرباً إلى أصحابها. وتقديم الذبائح والنذور لها. ودعاء أصحابها. والاستغاثة بهم؛ وكأقوال غلاة الجهمية والمعتزلة - ومنها ما هو من وسائل الشرك، كالبناء على القبور والصلاة والدعاء عندها - ومنها ما هو فسق اعتقادي كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية. ومنها ما هو معصية كبدعة التبتل والصيام قائماً في الشمس، والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع[1].

---

(١) انظر الاعتصام للشاطبي (٢/ ٣٧).

تنبيه:

من قَسَّم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة فهو مخطيء ومخالف لقوله ﷺ: «كل بدعة ضلالة» لأن الرسول ﷺ حكم على البدع كلها بأنها ضلالة، وهذا يقول ليس كل بدعة ضلالة، بل هناك بدعة حسنة. قال الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين: فقوله ﷺ: «كل بدعة ضلالة» من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين، وهو شبيه بقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة. والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة. انتهى [١].

وليس لهؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة، إلا قول عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح: (نعمت البدعة هذه).

---

(١) جامع العلوم والحكم.

وقالوا أيضاً: إنها أحدثت أشياء لم يستنكرها السلف مثل جمع القرآن في كتاب واحد. وكتابة الحديث وتدوينه. والجواب عن ذلك أن هذه الأمور لها أصل في الشرع فليست محدثة، وقول عمر (نعمت البدعة). يريد البدعة اللغوية لا الشرعية، فما كان له أصل في الشرع يرجع إليه إذا قيل إنه بدعة فهو بدعة لغة لا شرعاً. لأن البدعة شرعاً. ما ليس له أصل في الشرع يرجع إليه، وجمع القرآن في كتاب واحد له أصل في الشرع، لأن النبي ﷺ كان يأمر بكتابة القرآن، لكن كان مكتوباً متفرقاً فجمعه الصحابة رضي الله عنهم في مصحف واحد، حفظاً له، والتراويح قد صلاها النبي ﷺ بأصحابه ليالي وتخلف عنها في الأخير خشية أن تفرض عليهم واستمر الصحابة رضي الله عنهم يصلونها أوزاعاً متفرقين في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته إلى أن جمعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه على إمام واحد كما كانوا خلف النبي ﷺ وليس هذا بدعة في الدين، وكتابة الحديث أيضاً لها أصل

في الشرع فقد أمر النبي ﷺ بكتابة بعض الأحاديث لبعض أصحابه لما طلب منه ذلك، وكان المحذور من كتابته بصفة عامة في عهده ﷺ خشية أن يختلط بالقرآن ما ليس منه، فلما توفي ﷺ انتفى هذا المحذور - لأن القرآن قد تكامل وضبط قبل وفاته ﷺ، فدون المسلمون الحديث بعد ذلك حفظاً له من الضياع، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، حيث حفظوا كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ من الضياع وعبث العابثين.

ظهور البدع في حياة المسلمين والأسباب التي أدت إليها

١ - ظهور البدع في حياة المسلمين وتحته مسألتان:

المسألة الأول: وقت ظهور البدع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[١]: واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات إنما وقع في الأمة في

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٥٤).

أواخـر الخلفـاء الراشـدين كما أخبر بـه النبـي ﷺ حيث قـال: «من يعش منكم فيسرى اختـلافـاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفـاء الراشديـن المهديين»[1] وأول بدعـة ظهـرت بدعـة القـدر وبدعـة الإرجاء، وبـدعـة التشيع والخوارج ولما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان ظهرت بدعة الحرورية، ثم في أواخـر عصر الصحابة حدثت القـدرية في آخر عصر ابـن عمر وابن عبـاس وجابر وأمثـالهم من الصحابة، وحدثت المرجئة قريباً من ذلك. وأما الجهمية فإنها حدثـت في أواخر عصر التابعين بعد مـوت عمر بن عبدالعـزيز، وقد روي أنـه أنذر بهم، وكان ظهـور جهم بخراسان في خلافة هشام بن عبدالملك.

هذه البدع ظهرت في القرن الثاني والصحابة موجودون وقد أنكروا على أهلها، ثم ظهرت بدعة الاعتزال وحدثت الفتن بين المسلمين وظهر اختـلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء، وظهرت بدعة التصوف وبدعة البناء على القبور

(١) رواه ابو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

بعـد القرون المفضلـة، وهكـذا كلما تأخـر الـوقت زادت البدع وتنوعت.

المسألة الثانية: مكان ظهور البدع:

تختلف البلدان الإسـلامية في ظهور البدع فيهـا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن الأمصار الكبار التي سكنها أصحاب رسول الله ﷺ وخرج منها العلم والإيمان خمسة: الحرمان والعراقان، والشـام. منها خرج القرآن والحديث والفقه والعبـادة وما يتبع ذلك من أمور الإسـلام، وخرج من هـذه الأمصـار بـدع أصـوليـة غير المدينة النبـويـة. فالكوفـة خرج منها التشيع والإرجـاء وانتشر بعد ذلك في غيرهـا، والبصرة خـرج منهـا القـدر والاعتـزال والنسك الفـاسـد وانتشر بعـد ذلك في غيرهـا، والشـام كـان بها النصب والقـدر، وأمـا التجهـم فإنما ظهـر مـن نـاحيـة خـراسان وهـو شر البـدع، وكان ظهـور البـدع بحسب البعد عـن الدار النبويـة، فلما حدثـت الفرقة بعـد مقتل عثمان ظهرت بدعة الحرورية، وأما المدينة النبوية فكانت

سليمة من ظهور هذه البـدع وإن كان بها من هو مضمر لذلك، فكان عندهم مهانـاً مذموماً. إذ كان بها قوم من القـدرية وغيرهم ولكـن كانـوا مقهورين ذليلين بخـلاف التشيـع والإرجـاء في الكـوفـة والاعتـزال وبـدع النُّسـاك بالبصرة والنصب بـالشام فإنـه كان ظاهـراً، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن الـدجال لا يدخلهـا، ولم يزل العلم والإيمان ظـاهراً إلى زمن أصحـاب مالـك وهـم من أهل القرن الرابع[1].

فأما العصـور الثلاثة المفضلـة فلم يكن فيها بـالمدينة النبوية بدعة ظاهرة البتـة، ولا خرج منها بدعة في أصول الدين البتة، كما خرج من سائر الأمصار.

٢- الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع:

ممـا لا شك فيـه أن الاعتصام بـالكتـاب والسنة فيـه منجـاة من الوقــوع في البــدع والضـلال، قـال تعـالى:

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٣٠٠-٣٠٣).

﴿وأن هـذا صراطي مستقيماً فـاتبعـوه ولا تتبعـوا السبـل فتفرق بكم عن سبيله﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقد وضح ذلك النبي ﷺ فيما رواه ابن مسعـود رضي الله عنه قـال: (خط لنا رسـول الله ﷺ خطّا فقـال: «هذا سبيـل الله» ثم خط خطوطاً عـن يمينه وعن شماله ثم قـال: «وهذه سبل على كل سبيل منها شيطـان يدعو إليه». ثـم تلا: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعـــوه ولا تتبعـــوا السبل فتفـرق بكم عن سبيلـه ذلكم وصاكـم به لعلكم تتقـــون﴾[1]. فمن أعـرض عن الكتـاب والسنـة تنـازعتـه الطـــرق المضلـة والبـدع المحـدثة.

فـالأسبـاب التي أدت إلى ظهـور البـدع تتلخـص في الأمور التالية:

«الجهل بأحكام الدين، اتباع الهوى، التعصب للآراء والأشخاص، التشبـه بالكفار وتقليدهم، ونتنـاول هذه الأسباب بشي من التفصيل:

(١) رواه احمد وابن حبان والحاكم وغيرهم.

(أ) الجهل بأحكام الدين :

كلما امتد الزمن وبعد الناس عن آثار الرسالة قل العلم وفشى الجهل، كما أخبر بذلك النبي بقوله : «من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً»[1]، وقوله : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبْق عالماً اتخذ الناس رءوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضَلوا وأضلوا»[2] فلا يقاوم البدع إلا العلم والعلماء، فإذا فقد العلم والعلماء أتيحت الفرصة للبدع أن تظهر وتنتشر ولأهلها أن ينشطوا.

(ب) اتباع الهوى :

من أعرض عن الكتاب والسنة اتبع هواه، كما قال تعالى : ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم

---

(١) من حديث رواه ابو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح.

(٢) متفق عليه.

ومن أضل ممن اتبع هـواه بغير هدى من الله﴾ [القصص: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه مـن بعد الله﴾ [الجاثية: ٢٣]، والبدع إنما هي نسيج الهوى المتبع.

(ج) التعصب للآراء والرجال:

يحول بين المرء واتبـاع الدليل ومعـرفـة الحق التعصب للآراء والرجال، قال تعالى: ﴿و إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بـل نتبع ما ألفينا عليه آبـاءنا﴾ [البقرة: ١٧٠]، وهـذا هـو الشأن في المتعصبين اليـوم مـن بعـض أتبـاع المذاهب الصـوفية والقبـوريين إذا دعوا إلى اتبـاع الكتاب والسنة ونبـذ ما هم عليـه مما يخالفهما احتجوا بمـذاهبهم ومشائخهم وآبائهم وأجدادهـم.

(د) التشبه بالكفار:

هو من أشد ما يوقع في البدع، كما في حديث أبي واقد الليثي قـال: خرجنـا مع رسـول الله ﷺ إلى حنين ونحن

حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ [الأعراف: ١٣٨].

«لتركبن سنن من قبلكم»[1] ففي هذا الحديث أن التشبه بالكفار هو الذي حمل بني إسرائيل أن يطلبوا هذا الطلب القبيح، وهو أن يجعل لهم آلهة يعبدونها، وهو الذي حمل بعض أصحاب محمد أن يسألوه أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها من دون الله، وهذا نفس الواقع اليوم، فإن غالب الناس من المسلمين قلدوا الكفار في عمل البدع والشركيات: كأعياد الموالد وإقامة الأيام والأسابيع لأعمال مخصصة والاحتفال بالمناسبات الدينية والذكريات

---

(١) رواه الترمذي وصححه.

وإقامـة التماثيل والنصب التذكـارية وإقامـة المآتم وبدع الجنائز، والبناء على القبور وغير ذلك .

موقف الأمة الإسلامية من المبتدعة ومنهج أهل السنة والجماعة في الرد عليهم

١ - موقف أهل السنة والجماعة من المبتدعة :

مـا زال أهل السنـة والجماعـة يـردون على المبتـدعـة ، وينكرون عليهم بدعهم ويمنعونهم من مزاولتها ، وإليك نماذج من ذلك :

(أ) عن أم الـدرداء قـالت : دخـل عليَّ أبو الـدرداء مغضبـاً فقلت له : مـالك؟ فقـال : والله ما أعـرف فيهم شيئاً من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعاً[١] .

(ب) عن عمر بن يحيى قال : سمعت أبي يحدث عن أبيه قـال : كنا نجلس على بـاب عبدالله بن مسعـود قبل صلاة الغداة ، فإذا خرج مشينـا معه إلى المسجد ، فجاءنا

---

(١) رواه البخاري .

أبو موسى الأشعري، فقال: أخرج عليكم أبو عبدالرحمن بعد؟، قلنا: لا - فجلس معنا حتى خرج - فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال: يا أبا عبدالرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أر - والحمد لله - إلا خيراً قال: وما هو؟ قال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة فيهللون مائة، فيقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال فماذا قلت لهم؟ فقال: ما قلت شيئاً انتظار رأيك، أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليها فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن من أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء أصحابه متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل،

وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبدالرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله لا أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم. فقال عمر بن سلمة: رأينا عامة أولئك يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج[1].

(ج) جاء رجل إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقال: من أين أحرم؟ فقال: من الميقات الذي وقت رسول الله ﷺ وأحرم منه، فقال الرجل: فإن أحرمت من أبعد منه؟، فقال مالك: لا أرى ذلك، فقال: ما تكره من ذلك؟، قال: أكره عليك الفتنة، قال: وأي فتنة في ازدياد الخير؟! فقال: فإن الله تعالى يقول: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [النور: ٦٣]، وأي فتنة أعظم من أنك

---

(١) رواه الدارمي في مقدمة سننه رقم (٢١٠).

خصصت بفضل لم يختص به رسول الله ﷺ[1] هذا نموذج ولا زال العلماء ينكرون على المبتدعة في كل عصر والحمد لله .

٢- منهج أهل السنة والجماعة في الرد على أهل البدع :

منهجهم في ذلك مبني على الكتاب والسنة . وهو المنهج المقنع حيث يوردون شبه المبتدعة وينقضونها . ويستدلون بالكتاب والسنة على وجوب التمسك بالسنن والنهي عن البدع والمحدثات . وقد ألفوا المؤلفات الكثيرة في ذلك ، وردوا في كتب العقائد على الشيعة والخوارج والجهمية والمعتزلة والأشاعرة في مقالاتهم المبتدعة في أصول الإيمان والعقيدة ، وألفوا كتباً خاصة في ذلك ، كما ألف الإمام أحمد كتاب «الرد على الجهمية» . وألف غيره من الأئمة في ذلك كعثمان بن سعيد الدارمي ، وكما في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشيخ

(١) ذكره أبو شامه في كتاب : الباعث على إنكار البدع والحوادث نقلاً عن أبي بكر الخلال ص ١٤ .

محمد بـن عبدالوهـاب وغيرهـم من الرد على تلـك الفرق وعلى القبورية والصوفية، وأما الكتب الخاصة في الرد على أهل البـدع فهي كثيرة منهـا على سبيل المثال مـن الكتب القديمة:

١- كتاب «الاعتصام» للإمام الشاطبي.

٢- كتـاب «اقتضـاء الصراط المستقيم» لشيـخ الإسـلام ابن تيمية فقد استغرق الرد على المبتدعة جزءاً كبيراً منه.

٣- كتاب «إنكار الحوادث والبدع» لابن وضاح.

٤- كتاب «الحوادث والبدع» للطرطوشي.

٥- كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» لأبي شامة.

ومن الكتب العصرية:

١- كتاب «الإبداع في مضار الابتداع» للشيخ علي محفوظ.

٢- كتاب «السنن والمبتدعات المتعلقـة بالأذكار والصلوات» للشيخ محمد بن أحمد الشقيري الحوامدي.

٣- رسالة التحذير من البدع للشيخ عبدالعزيز بن باز.

ولا يــزال العلماء المسلمين - والحمـد لله - ينكــرون البــدع ويـردون على المبتــدعــة من خــلال الصحـف والمجــلات والإذاعـــات وخطـب الجمـع والنـــدوات والمحاضرات مما له كبير الأثر في توعية المسلمين والقضاء على البدع وقمع المبتدعين .

في بيان نماذج من البدع المعاصرة

هي :

١ - الاحتفال بالمولد النبوي .

٢- التبرك بالأماكن والآثار والأموات ونحو ذلك .

٣- البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله .

البدع المعاصرة كثيرة بحكم تأخر الزمن وقلة العلم وكثرة الدعاة إلى البدع والمخالفات وسريان التشبه بالكفار في عاداتهم وطقوسهم مصداقاً لقوله ﷺ : «لتتبعن سنن من كان قبلكم»[١] .

١ - الاحتفال بمناسبة المولد النبوي في ربيع الأول :

وهو تشبه بالنصارى في عمل ما يسمى بالاحتفال بمولد المسيح ، فيحتفل جهلة المسلمين أو العلماء المضلين في ربيع الأول من كل سنة بمناسبة مولد الرسول محمد ﷺ . فمنهم من يقيم هذا الاحتفال في المساجد ،

(١) رواه الترمذي وصححه .

ومنهم من يقيمه في البيوت أو الأمكنة المعدة لذلك. ويحضر جموع كثيرة من دهماء الناس وعوامهم - يعملون ذلك تشبهاً بالنصارى في ابتداعهم الاحتفال بمولد المسيح عليه السلام - والغالب أن هذا الاحتفال علاوة على كونه بدعة وتشبهاً بالنصارى لا يخلو من وجود الشركيات والمنكرات كإنشاد القصائد التي فيها الغلو في حق الرسول ﷺ إلى درجة دعائه من دون الله والاستغاثة به، وقد نهى النبي ﷺ عن الغلو في مدحه فقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبدالله ورسوله»[1].

الإطراء معناه: الغلو في المدح. وربما يعتقدون أن الرسول ﷺ يحضر احتفالاتهم، ومن المنكرات التي تصاحب هذه الاحتفالات الأناشيد الجماعية المنغمة وضرب الطبول. وغير ذلك من عمل الأذكار الصوفية

---

(١) رواه الشيخان.

المبتدعة، وقد يكون فيها اختلاط بين الرجال والنساء مما يسبب الفتنة ويجر إلى الوقوع في الفواحش، وحتى لو خلا هذا الاحتفال من هذه المحاذير واقتصر على الاجتماع وتناول الطعام وإظهار الفرح. كما يقولون - فإنه بدعة محدثة (وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة) وأيضاً هو وسيلة إلى أن يتطور ويحصل فيه ما يحصل في الاحتفالات الأخرى من المنكرات.

وقلنا: إنه بدعة. لأنه لا أصل له في الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح والقرون المفضلة، وإنما حدث متأخراً بعد القرن الرابع الهجري. أحدثه الفاطميون الشيعة، قال الإمام أبو حفص تاج الدين الفاكهاني رحمه الله: أما بعد: فقد تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول ويسمونه المولد - هل له أصل في الدين، وقصدوا الجواب عن ذلك مبيناً والإيضاح عنه معيناً، فقلت وبالله

التوفيق: لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفس اغتنى بها الأكالون[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وكذلك ما يحدث بعض الناس، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً.. من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً مع اختلاف الناس في مولده، فإن هذا لم يفعله السلف ولو كان هذا خيراً محضاً وراجعاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا. فإنهم كانوا أشد محبة للنبي ﷺ وتعظيماً له منا. وهم على الخير أحرص، وإنما كان محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطناً وظاهراً ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين

---

(١) رسالة المورد في عمل المولد.

والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان[1] . . . انتهى ببعض اختصار.

وقد ألف في إنكار هذه البدعة كتب ورسائل قديمة وحديثة، وهو علاوة على كونه بدعة وتشبهاً فإنه يجر إلى إقامة موالد أخرى كموالد الأولياء والمشائخ والزعماء. فيفتح أبواب شر كثيرة.

٢- التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص أحياء وأمواتاً:

من البدع المحدثة التبرك بالمخلوقين - وهو لون من ألوان الوثنية وشبهة يصطاد بها المرتزقة أموال السذج من الناس، والتبرك: طلب البركة وهي ثبوت الخير في الشيء وزيادته - وطلب ثبوت الخير وزيادته إنما يكون ممن يملك ذلك ويقدر عليه وهو الله سبحانه. فهو الذي ينزل البركة ويثبتها - أما المخلوق فإنه لا يقدر على منح البركة وإيجادها ولا على إبقائها وتثبيتها، فالتبرك بالأماكن

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦١٥) بتحقيق د. ناصر العقل.

والآثار والأشخاص أحياء وأمواتاً لا يجوز، لأنه إما شرك، إن اعتقد أن ذلك الشيء يمنح البركة أو وسيلة إلى الشرك إن اعتقد أن زيادته وملامسته والتمسح به سبب لحصولها من الله، وأما ما كان الصحابة يفعلونه من التبرك بشعر النبي ﷺ وريقه وما انفصل من جسمه كما تقدم[1]، فذلك خاص به ﷺ في حال حياته ووجوده بينهم بدليل أن الصحابة لم يكونوا يتبركون بحجرته وقبره بعد موته. ولا كانوا يقصدون الأماكن التي صلى فيها أو جلس فيها ليتبركوا بها، وكذلك مقامات الأولياء من باب أولى، ولم يكونوا يتبركون بالأشخاص الصالحين كأبي بكر وعمر وغيرهما من أفاضل الصحابة لا في الحياة ولا بعد الموت. ولم يكونوا يذهبون إلى غار حراء ليصلوا فيه أو يدعوا، ولم يكونوا يذهبون إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى ليصلوا فيه ويدعوا. أو إلى غير هذه الأمكنة من الجبال التي يقال إن فيها مقامات الأنبياء أو

(١) في صفحة ١٠٦.

غيرهم. ولا إلى مشهد مبني على أثر نبي من الأنبياء، وأيضاً فإن المكان الذي كان النبي ﷺ يصلي فيه بالمدينة النبوية دائماً لم يكن أحد من السلف يستلمه ولا يقبله، ولا الموضع الذي صلى فيه بمكة وغيرها، فإذا كان الموضع الذي كان يطؤه بقدميه الكريم ويصلي عليه لم يشرع لأمته التمسح به ولا تقبيله فكيف بما يقال إن غيره صلى فيه أو نام عليه. فتقبيل الشيء من ذلك والتمسح به قد علم العلماء بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا ليس من شريعته ﷺ (١).

٣- البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله:

البدع التي أحدثت في مجال العبادات في هذا الزمان كثيرة - والأصل في العبادات التوقيف فلا يشرع شيء منها إلا بدليل. وما لم يدل عليه دليل فهو بدعة لقوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»(٢).

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٩٥ - ٨٠٢) تحقيق د. ناصر العقل.
(٢) رواه مسلم.

والعبــادات التــي تمارس الآن ولا دليــل عليهــا كثيرة جداً، منها:

الجهر بالنية بالصلاة: بأن يقول: نـويت أن أصلي لله كذا وكـذا، وهذه بـدعة لأنـه ليس من سنـة النبي ﷺ، ولأن الله تعـالى يقـول: ﴿قل أتعلمـون الله بـدينكم والله يعلـم مـا في السمـوات ومـا في الأرض والله بكـل شيء عليم﴾ [الحجرات: ١٦]، والنية محلها القلب. فهي عمل قلبي لا عمل لساني، ومنها الذكر الجماعي بعد الصلاة، لأن المشروع أن كل شخص يقـول الذكـر الوارد منفـرداً، ومنهـا طلب قراءة الفـاتحة في المنـاسبات وبعـد الدعـاء ولـلأموات، ومنهـا إقـامـة المآتم على الأمـوات وصناعـة الأطعمـة واستئجار المقـرئين يزعمـون أن ذلك من بـاب العزاء أو أن ذلك ينفع الميت، وكل ذلك بدع لا أصل لها وآصال وأغلال ما أنزل الله بها من سلطان.

ومنها الاحتفال بـالمناسبات الدينيـة كمناسبة الإسراء والمعراج ومنـاسبة الهجرة النبـوية. وهذا الاحتفـال بتلك

المناسبات لا أصل له في الشرع، ومن ذلك ما يفعل في شهر رجب كالعمرة الرجبية وما يفعل فيه من العبادات الخاصة به كالتطوع بالصلاة والصيام فيه خاصة، فإنه لا ميزة له على غيره من الشهور لا في العمرة والصيام والصلاة والذبح للنسك فيه ولا غير ذلك.

ومن ذلك الأذكار الصوفية بأنواعها. كلها بدع ومحدثات، لأنها مخالفة للأذكار المشروعة في صيغها وهيئاتها وأوقاتها.

ومن ذلك تخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام، ويوم النصف من شعبان بصيام، فإنه لم يثبت عن النبي ﷺ في ذلك شيء خاص به. ومن ذلك البناء على القبور واتخاذها مساجد وزيارتها لأجل التبرك بها والتوسل بالموتى وغير ذلك من الأعراض الشركية. وزيارة النساء لها مع أن الرسول ﷺ لعن زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج.

وختاماً:

نقول: إن البدع بريد الكفر. وهي زيادة دين لم يشرعه الله ولا رسوله، والبدعة شر من المعصية الكبيرة. والشيطان يفرح بها أكثر مما يفرح بالمعاصي الكبيرة، لأن العاصي يفعل المعصية وهو يعلم أنها معصية فيتوب منها، والمبتدع يفعل البدعة يعتقدها ديناً يتقرب به إلى الله فلا يتوب منها، والبدع تقضي على السنن وتكره إلى أصحابها فعل السنن وأهل السنة، والبدعة تباعد عن الله وتوجب غضبه وعقابه وتسبب زيغ القلوب وفسادها.

ما يعامل به المبتدعة:

تحرم زيارة المبتدع ومجالسته إلا على وجه النصيحة له والإنكار عليه، لأن مخالطته تؤثر على مخالطه شراً وتنشر عداوته إلى غيره، ويجب التحذير منهم ومن شرهم إذا لم يكن الأخذ على أيديهم ومنعهم من مزاولة البدع - وإلا فإنه يجب على علماء المسلمين وولاة أمورهم منع البدع والأخذ على أيدي المبتدعة وردعهم عن شرهم. لأن

خطرهم على الإسلام شديد، ثم أنه يجب أن يعلم أن دول الكفر تشجع المبتدعة على نشر بـدعتهم وتساعدهـم على ذلك بشتـى الطـرق، لأن في ذلك القضـاء على الإسـلام وتشويه صورته.

نسأل الله عزّ وجلّ أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويخذل أعداءه - وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

فهرس الكتاب

الباب الثالث

الباب الرابع


منتدى إقرأ الثقافي